

سورة القتال، وهي سورة محمد ﷺ

مدنية في قول ابن عباس؛ ذكره النحاس^(١).

وقال الماوردي^(٢): [مدنية] في قول الجميع إلا ابن عباس وقاتدة فإنهما قالا: إلا آية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً عليه؛ فنزل عليه ﴿وَكَأَن مِّن قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرِيْبِكَ﴾ [محمد: ١٣].
وقال الثعلبي: إنَّها مكية؛ وحكاه ابن هبة الله عن الضحَّاك وسعيد بن جبير. وهي تسع وثلاثون آية. وقيل: ثمان^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿١﴾

قال ابن عباس ومجاهد: هم أهل مكة؛ كفروا بتوحيد الله^(٤)، وصدَّوا أنفسهم والمؤمنين عن دين الله - وهو الإسلام - بنهيمهم عن الدخول فيه، وقاله السدي. وقال الضحَّاك: «عَن سَبِيلِ اللَّهِ»: عن بيت الله بمنع قاصديه^(٥).

ومعنى «أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ»: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم. قاله الضحَّاك^(٦). وقيل: أبطل ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم؛ من صلة الأرحام، وفك الأسارى، وقري الأضياف، وحفظ الجوار^(٧).

(١) في النسخ والنسخ له ٤/٣ .

(٢) في النكت والعيون ٢٩٠/٥ ، وما بين حاصرتين منه .

(٣) بنحوه في الكشف ٥٢٩/٣ .

(٤) تفسير أبي الليث ٢٣٩/٣ .

(٥) النكت والعيون ٢٩٠/٥ .

(٦) تفسير البغوي ١٧٧/٤ .

(٧) الكشف ٥٢٩/٣-٥٣٠ .

وقال ابن عباس: نزلت في الْمُطْعِمِينَ ببدر، وهم اثنا عشر رجلاً: أبو جهل، والحارث بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأميّة ابنا خلف، ومُنْبِهٌ وَنُيَيْبُه ابنا الحجاج، وأبو الْبَخْتَرِيِّ بن هشام، وزَمْعَةُ بن الأسود، وحكيْمُ بن حزام، والحارثُ ابن عامر بن نوفل^(١).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هم الأنصار. وقال مقاتل: إنها نزلت خاصة في ناسٍ من قريش^(٢). وقيل: هما عامتان فيمن كفر وآمن^(٣).

ومعنى «أَصْلَحَ أَعْمَالَهُمْ»: أبطّلها. وقيل: أضلّهم عن الهدى بما صرفهم عنه من التوفيق^(٤).

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من قال: إنهم الأنصار، فهي المواساة في مساكنهم وأموالهم. ومن قال: إنهم من قريش، فهي الهجرة^(٥). ومن قال بالعموم، فالصالحات جميع الأعمال التي ترضي الله تعالى.

﴿وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾: لم يخالفوه في شيء. قاله سفيان الثوري^(٦). وقيل: صدّقوا محمداً ﷺ فيما جاء به. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يريد أن إيمانهم هو الحق من

(١) بنحوه في النكت والعيون ٢٩١/٥، وفيه «الوليد بن عقبة وعقبة بن أبي معيط» بدل «الحارث بن هشام، وأبي بن خلف».

(٢) النكت والعيون ٢٩١/٥ دون ذكر مجاهد، وذكر قوله ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠٩/٥.

(٣) بنحوه في الكشاف ٥٣٠/٣.

(٤) النكت والعيون ٢٩١/٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تفسير البغوي ١٧٧/٤.

ربهم. وقيل: أي: إنَّ القرآن هو الحقُّ من ربهم^(١)، نَسَخَ به ما قبله ﴿كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: ما مضى من سيئاتهم قبل الإيمان.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: شأنهم؛ عن مجاهد وغيره. وقال قتادة: حالهم. ابن عباس: أمرهم. والثلاثة متقاربة، وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بديانهم. وحكى النقاشُ أنَّ المعنى: أصلح نياتهم؛ ومنه قول الشاعر:

فإن تُقبلي بالودِّ أقبلُ بمثله وإن تُدبري أذهب إلى حالٍ باليا^(٢)
وهو على هذا التأويل^(٣) محمول على إصلاح دينهم^(٤).

«والبال» كالمصدر، ولا يعرف منه فعل، ولا تجمععه العربُ إلا في ضرورة الشعر فيقولون فيه: بالات^(٥).

المبرّد: قد يكون البال في موضع آخر بمعنى القلب؛ يقال: ما يخطر فلان على بالي، أي: على قلبي^(٦).

الجوهري^(٧): «والبال رخاء النفس؛ يقال: فلان رخي البال. والبال: الحال؛ يقال: ما بالك؟ وقولهم: ليس هذا من بالي، أي: مما أباليه. والبال: الحوتُ العظيمُ من حيتان البحر، وليس بعربيّ. والباله: وعاء الطيب؛ فارسي معرّب، وأصله بالفارسية بيله. قال أبو ذؤيب:

كأنَّ عليها بالةٌ لَطْمِيَةٌ لها من خلال الدأيتينِ أريجُ^(٨)

(١) النكت والعيون ٢٩١/٥ .

(٢) النكت والعيون ٢٩١-٢٩٢/٥ ، والبيت أيضاً في أمالي الزجاجي ص ١٦١ غير منسوب.

(٣) في (م): التأويل.

(٤) النكت والعيون ٢٩٢/٥ .

(٥) المحرر الوجيز ١١٠/٥ ، وفيه: البال: مصدر، كالحال والشأن.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٧٨/٤ .

(٧) في الصحاح (بول).

(٨) البيت في ديوان الهذليين ص ٥٩ . اللطميّة: أو: اللطيمة: هي العبرة التي لُطِمت بالمسك، ففتنّت =

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^١
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^١
«ذلك» في موضع رفع، أي: الأمر ذلك، أو ذلك الإضلال والهدى المتقدم ذكرهما سببه هذا^(١). فالكافر اتَّبِعَ الباطل، والمؤمن اتَّبِعَ الحق. والباطل: الشرك. والحق: التوحيد والإيمان. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: كهذا البيان الذي بيّن؛ يبيّن الله للناس أمر الحسنات والسيئات^(٢). والضمير في «أَمْثَلَهُمْ» يرجع إلى الذين كفروا والذين آمنوا^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّوَاكَ فَمَا مَأْ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَرْزَأَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ بِشَاءِ اللَّهِ لَأَنْصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّبَلَاغِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿١﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ لَمَّا مَيَّزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ؛ أمر بجهاد الكفار.

قال ابن عباس: الكفار المشركون عبدة الأوثان. وقيل: كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة. ذكره الماوردي^(٤)، واختاره ابن العربي^(٥) وقال: وهو الصحيح لعموم الآية فيه.

= به حتى نشبت رائحتها. الدأي: ضلوع الصدر في ملتقاه وملتقى الجنب. الأريج: الريح الطيبة. اللسان (لطم) (دأي) (أرج).

(١) أي: تكون «ذلك» إما في موضع رفع خبر، على إضمار مبتدأ، أي: الأمر ذلك، أو في موضع رفع بالابتداء، وما بعده خبره. إعراب القرآن للنحاس ١٧٨/٤.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٦١/٦.

(٣) تفسير الرازي ٤٣/٢٨.

(٤) في النكت والعيون ٢٩٣/٥.

(٥) في أحكام القرآن له ١٦٨٨/٤.

«فَضْرَبَ الرَّقَابِ» مصدر^(١). قال الزَّجَّاجُ^(٢): أي: فاضربوا الرِّقَابَ ضرباً. وخصَّ الرِّقَابَ بالذكر؛ لأنَّ القتلَ أكثر ما يكون بها^(٣). وقيل: نصب على الإغراء^(٤). قال أبو عبيدة^(٥): هو كقولك: يا نفسُ صبراً. وقيل: التقدير: اقصدوا ضرب الرقاب^(٦).

وقال: «فَضْرَبَ الرَّقَابِ» ولم يقل: فاقتلوه؛ لأنَّ في العبارة بضرب الرِّقَابِ من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل؛ لِمَا فيه من تصوير القتل بأشنع صورة؛ وهو حرُّ العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعُلوهُ وأوجُهُ أعضائه^(٧).

الثانية: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ﴾ أي: أكثرتم القتل. وقد مضى في «الأنفال» عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُشِخِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]^(٨). ﴿فَشُدُّوا الوثَاقَ﴾ أي: إذا أسرتموهم. والوثاق اسم من الإيثاق، وقد يكون مصدراً؛ يقال: أوثقتُه إيثاقاً ووثاقاً^(٩).

وأما الوثاق - بالكسر - فهو اسم الشيء الذي يوثق به؛ كالرباط. قاله القشيري. وقال الجوهري^(١٠): وأوثقه في الوثاق، أي: شدّه، وقال تعالى: «فَشُدُّوا الوثَاقَ». والوثاق - بكسر الواو - لغة فيه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٤ .

(٢) في معاني القرآن له ٦/٥ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٦١/٦ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٤ - ونسب القول فيه للفراء - وتفسير البغوي ١٧٨/٤ .

(٥) في مجاز القرآن ٢١٤/٢ .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١٦٨٨/٤ .

(٧) الكشف ٥٣٠/٣ .

(٨) ٧٤/١٠ .

(٩) الوسيط ١١٩/٤ ، وزاد المسير ٣٩٧/٧ .

(١٠) في الصحاح (وثق).

وإنما أمر بشدّ الوثاق لثلاث يُفْلِتُوا. ﴿فِيمَا مَنَّا﴾ عليهم بالإطلاق من غير فِدية ﴿وَمَا فِدَاءٌ﴾^(١). ولم يذكر القتل هاهنا؛ اكتفاءً بما تقدّم من القتل في صدر الكلام.

و«مَنَّا» و«فِدَاءٌ» نصب بإضمار فعل. وقرئ: «فَدَى» بالقصر مع فتح الفاء، أي: فِيمَا أَنْ تَمَنُّوا عَلَيْهِمْ مَنَّا، وإما أَنْ تَفَادُوهُمْ فِدَاءً^(٢).

روي عن بعضهم أَنَّهُ قَالَ: كنت واقفاً على رأس الحَجَّاج حين أُتِيَ بالأسرى من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث وهم أربعة آلاف وثمان مئة، فقتل منهم نحواً من ثلاثة آلاف حتى قدم إليه رجل من كِنْدَةَ فقال: يا حَجَّاج، لا جازاك الله عن السنّة والكرم خيراً! قال: ولم ذلك؟ قال: لأنّ الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَاِمَّا فِدَاءً﴾ في حقّ الذين كفروا، فوالله ما مَنَنْتَ ولا فَدَيْتَ! وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق:

ولا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفَكُّهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ^(٣)
فقال الحَجَّاج: أفّ لهذه الجِيف! أمّا كان فيهم مَنْ يحسن مثل هذا الكلام؟! خَلُّوا سَبِيلَ مَنْ بَقِيَ. فُخِّلِي يَوْمَئِذٍ عَنْ بَقِيَةِ الْأَسْرَى - وهم زهاء ألفين - بقول ذلك الرجل^(٤).

الثالثة: واختلف العلماء في تأويل هذه الآية على خمسة أقوال:

الأوّل: أنها منسوخة، وهي في أهل الأوثان، لا يجوز أن يفادوا ولا يَمَنَّ عَلَيْهِمْ. والناسخ لها عندهم قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٥)

(١) تفسير البغوي ١٧٨/٤ بنحوه.

(٢) الكشاف ٥٣١/٣، وتفسير الرازي ٤٤/٢٨، وذكر قراءة: فَدَى، الزمخشري، وهي قراءة شاذة.

(٣) البيت للفرزدق كما في طبقات فحول الشعراء ٤٠٢/٢، والأغاني ٣٤٣/١٥.

(٤) القصة مختصرة في العقد الفريد ١٧٤/٢ ورواية البيت فيه: (القلائد) بدل: (المغارم)، وبهجة المجالس ٩٩/١، ووقع في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩/٢ أنه رجل من بني تميم.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٥/٣.

[التوبة: ٥]: وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهْمَ مَن خَلَفَهُم﴾ [الأنفال: ٥٧] وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] الآية. قاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج والعمري عن ابن عباس، وقاله كثير من الكوفيين^(١).

وقال عبد الكريم الجزري^(٢): كُتِبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فِي أُسِيرٍ أُسِرَ، فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ التَّمَسُّوهُ بِفِدَاءٍ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: اقْتُلُوهُ، لَقَتَلُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا^(٣).

الثاني: أنها في الكفار جميعاً. وهي منسوخة على قول جماعة من العلماء وأهل النظر، منهم قتادة ومجاهد. قالوا: إذا أُسِرَ الْمُشْرِكُ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُمَنَّ عَلَيْهِ، وَلَا أَنْ يَفَادَى بِهِ فِيرَدَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَجُزْ أَنْ يَفَادَى عَنْهُمْ إِلَّا بِالْمَرْأَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تُقْتَلُ. وَالنَّاسِخُ لَهَا: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] إذ كانت «براءة» آخر ما نزلت بالتوقيف؛ فوجب أن يُقْتَلَ كُلُّ مُشْرِكٍ إِلَّا مَنْ قَامَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى تَرْكِهِ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَمَنْ تَوَخَّذَ مِنْهُ الْجِزْيَةُ^(٤) - وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ^(٥) - خِيفَةَ أَنْ يَعُودُوا حَرْبًا لِلْمُسْلِمِينَ.

ذكر عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة ﴿فَإِمَّا مَتًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ قال: نسخها: ﴿فَشَرِدْ بِهْمَ مَن خَلَفَهُم﴾ [الأنفال: ٥٧]. وقال مجاهد: نسخها: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. وهو قول الحكم^(٦).

الثالث: أنها ناسخة. قاله الضحاك وغيره. روى الثوري عن جويبر عن الضحاك:

(١) تفسير الطبري ١٨٣/٢١ - ١٨٥ .

(٢) في (م) و(د) و(ز) و(ق): الجوزي، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٢٠، والطبري في تفسيره ٢١/١٨٤، وذكره أبو الليث في تفسيره ٢٤٠/٣.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/٤٢٤، ٧/٣.

(٥) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٦٩٠.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/١٠، وأثر قتادة في تفسير عبد الرزاق ٢/٢٢١.

﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قال: نسخها ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾. وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء: «فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً» فلا يُقتل المشرك ولكن يُمَنّ عليه ويُفادى؛ كما قال الله عزَّ وجلَّ. قال الأشعث: كان الحسن يكره أن يقتل الأسير، ويتلو: «فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً»^(١).

وقال الحسن أيضاً: في الآية تقديم وتأخير؛ فكأنه قال: فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها. ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُم فَسَدُّوا الرِّقَابَ﴾. وزعم أنه ليس للإمام إذا حصل الأسير في يديه أن يقتله، لكنه بالخيار في ثلاثة منازل: إما أن يمَنّ، أو يُفادى، أو يسترق^(٢).

الرابع: قول سعيد بن جبيرة: لا يكون فداءً ولا أسر إلا بعد الإثخان والقتل بالسيف؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]. فإذا أسر بعد ذلك، فللإمام أن يحكم بما رآه من قتل أو غيره^(٣).

الخامس: أن الآية محكمة، والإمام مخير في كل حال^(٤)؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٥)، وقاله كثير من العلماء؛ منهم ابن عمر والحسن وعطاء، وهو مذهب مالك والشافعي والثوري والأوزاعي وأبي عبيد وغيرهم، وهو الاختيار؛ لأنَّ النبي ﷺ والخلفاء الراشدين فعلوا كل ذلك^(٦)؛ قتل النبي ﷺ عقبه بن أبي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر صبراً^(٧)، وفادى سائر أسارى بدر، ومنَّ على أبي عروة

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١٠/٣-١١.

(٢) أحكام القرآن للكنيا ٣٧٤/٤.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١١، ٥/٣.

(٤) الناسخ والمنسوخ ٥/٣.

(٥) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٧٠ (٣٤٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ١٢/٣.

(٦) الأوسط لابن المنذر ١١/٢٢٤-٢٢٧، وينظر تفسير البغوي ١٧٨/٤.

(٧) سلف ٢٣/١٠.

الجمحي^(١)، وقتل بني قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصاروا في يده سلماً^(٢).
 وَمَنْ عَلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُتَالِ الْحَنْفِيِّ وَهُوَ أُسِيرٌ فِي يَدِهِ^(٣)، وأخذ من سلمة بن الأكوع
 جارية ففدى بها أناساً من المسلمين^(٤)، وهبط عليه - عليه الصلاة والسلام - قوم من
 أهل مكة، فأخذهم النبي ﷺ وقد منّ عليهم، وقد منّ على سبي هوازن^(٥). وهذا كله
 ثابت في الصحيح، وقد مضى جميعه في «الأنفال»^(٦) وغيرها.

قال النحاس^(٧): وهذا على أن الآيتين محكمتان معمول بهما، وهو قول حسن؛
 لأنّ النسخ إنما يكون لشيء قاطع، فإذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ،
 إذ كان يجوز أن يقع التعبد، إذا لقينا الذين كفروا قتلناهم، فإذا كان الأسر؛ جاز
 القتل والاسترقاق والمفاداة والمنّ على ما فيه الصلاح للمسلمين. وهذا القول يروى
 عن أهل المدينة والشافعي وأبي عبيد.

وحكاه الطحاوي مذهباً عن أبي حنيفة، والمشهور عنه ما قدّمناه^(٨)، وبالله عزّ
 وجلّ التوفيق.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال مجاهد وابن جبير: هو خروج
 عيسى عليه السلام^(٩). وعن مجاهد أيضاً: أن المعنى حتى لا يكون دينٌ إلا دين

(١) الكشاف ٥٣١/٣ وفيه (الحجبي) بدل (الجمحي).

(٢) من قوله: «وَمَنْ عَلَى أَبِي عُرْوَةَ» إلى قوله: «فِي يَدِهِ سَلْمًا». من (خ) و(د) و(ظ) و(ف). وحكم سعد في
 بني قريظة سلف ٦٣/٦. ووقع في (د) «وَقَتْلُ مَنْ قَرِيظَةَ» بلد «وَقَتْلُ بَنِي قَرِيظَةَ».

(٣) سلف ٤٢٢/٢.

(٤) أخرجه أحمد (١٦٥٠٢)، ومسلم (١٧٥٥) مطولاً.

(٥) سلف ١١/١٠.

(٦) ٧١/١٠ فما بعدها.

(٧) في النسخ والمنسوخ ١٢/٣.

(٨) الكشاف ٥٣١/٣.

(٩) معاني القرآن للنحاس ٦/٤٦٣، وقول مجاهد في تفسيره ٥٩٧/٢.

الإسلام، فَيُسْلِمُ كل يهوديٍّ ونصرانيٍّ وصاحبِ مِلَّةٍ، وتَأْمِنُ الشاةُ من الذئبِ^(١).
ونحوه عن الحسن والكلبي والفرّاء^(٢) والكسائي. قال الكسائي: حتى يُسْلِمَ الخلق.

وقال الفرّاء: حتى يؤمنوا ويذهب الكفر. وقال الكلبي: حتى يظهر الإسلام على
الدِّينِ كُلِّهِ^(٣). وقال الحسن: حتى لا يعبدوا إلا الله.

وقيل: معنى الأوزار السلاح؛ فالمعنى: شدّوا الوثاق حتى تأمنوا وتضعوا
السلاح^(٤).

وقيل: معناه حتى تضع الحرب؛ أي: الأعداء المحاربون أوزارهم^(٥)؛ وهو
سلاحهم بالهزيمة أو المودعة^(٦). ويقال للكراع: أوزار. قال الأعشى:

وأعددتُ للحربِ أوزارَها رماحاً طَوَّالاً وَخَيْلاً ذُكُوراً
وَمِنْ نَسِجِ داوِدَ يَحْدِي بها على أثرِ الحَيِّ عِيراً فَعِيراً^(٧)

وقيل: «حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَها» أي: أثقالها. والوزر: الثقل، ومنه وزير
الملك؛ لأنّه يتحمّل عنه الأثقال. وأثقالها: السلاح؛ لثقل حملها^(٨).

قال ابن العربي^(٩): قال الحسن وعطاء: في الآية تقديم وتأخير؛ المعنى:

(١) أحكام القرآن للكميا ٤/٣٧٤-٣٧٥، وقول مجاهد أيضاً في تفسيره ٥٩٧/٢، وأخرجه الطبري
١٨٨/٢١.

(٢) في معاني القرآن له ٥٧/٣-٥٨.

(٣) النكت والعيون ٥/٢٩٣.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٦/٤٦٤ بنحوه.

(٥) تفسير الرازي ٢٨/٤٥.

(٦) النكت والعيون ٥/٢٩٣.

(٧) تفسير غريب القرآن ص ٤٠٩، والبيتان في ديوان الأعشى ص ١٤٩، ورواية البيت الثاني فيه:

وَمِنْ نَسِجِ داوِدَ مَوْضُونَةٌ تُسَاقُ معِ الحَيِّ عِيراً فَعِيراً

(٨) النكت والعيون ٥/٢٩٣.

(٩) في أحكام القرآن ١٦٩١ - ١٦٩٢.

فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها، فإذا أئخنتموهم فشدوا الوثاق، وليس للإمام أن يقتل الأسير. وقد روي عن الحجاج أنه دفع أسيراً إلى عبد الله بن عمر ليقتله، فأبى وقال: ليس بهذا أمرنا الله، وقرأ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنخَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾. قلنا: قد قاله رسول الله ﷺ وفعله^(١)، وليس في تفسير الله للمن^(٢) والفداء منع من غيره، فقد بين الله في الزنى حكم الجلد، وبين النبي ﷺ حكم الرجم، ولعل ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج فاعتذر بما قال، وربك أعلم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ «ذَٰلِكَ» في موضع رفع على ما تقدم، أي: الأمر ذلك الذي ذكرت وبينت^(٣). وقيل: هو منصوب على معنى افعلوا ذلك^(٤). ويجوز أن يكون مبتدأ، المعنى: ذلك حكم الكفار. وهي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام إلى كلام، وهو كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا وَإِنَّكَ لِلطَّٰغِيْنَ لَشَرٌّ مَّتَابٍ﴾ [ص: ٥٥]. أي: هذا حق وأنا أعرفكم أن للظالمين كذا.

ومعنى: «لَآنْتَصَرَ مِنْهُمْ» أي: أهلكتهم بغير قتال^(٥). وقال ابن عباس: لأهلكهم بجند من الملائكة^(٦). ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: أمركم بالحرب ليبلو ويختبر بعضكم ببعض، فيعلم المجاهدين والصابرين، كما في السورة نفسها^(٧). ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يريد قتلى أحد من المؤمنين ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ قراءة العامة: «قاتلوا» وهي اختيار أبي عبيد. وقرأ أبو عمرو وحفص: «قَتِلُوا» بضم القاف وكسر التاء^(٨)،

(١) سلف ٧٣/١٠.

(٢) في النسخ الخطية (لكم) بدل (للمن)، وهي نسخة من أحكام القرآن كما في حواشيه، والمثبت من (م) والأحكام.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٧/٥.

(٥) تفسير البغوي ١٧٩/٤.

(٦) نسب القول في النكت والعيون ٢٩٤/٥ للكليبي.

(٧) الآية ٣١، وينظر الكشاف ٥٣١/٣.

(٨) السبعة ص ٦٠٠، واليسير ص ٢٠٠.

وكذلك قرأ الحسن إلا أنه شدد التاء على التثنية^(١). وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر وأبو حيوة: «قَتَلُوا» بفتح القاف والتاء من غير ألف^(٢)؛ يعني الذين قتلوا المشركين.

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب، وقد فسّدت فيهم الجراحات والقتل^(٣)، وقد نادى المشركون: اغلُّ هُبْلُ. ونادى المسلمون: الله أعلى وأجلّ. وقال المشركون: يومٌ بيوم بدر والحرب سجال. فقال النبي ﷺ: «قولوا: لا سواء. قتلانا أحياء عند ربهم يرزقون، وقتلاكم في النار يعذبون». فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم. فقال المسلمون: الله مولانا ولا مولى لكم. وقد تقدّم ذكر ذلك في «آل عمران»^(٤).

قوله تعالى: ﴿سَيِّدِهِمْ وَيُضْلِحَ بِالْهَمِّ﴾

قال القشيري: قراءة أبي عمرو: «قَتَلُوا» بعيدة؛ لقوله تعالى: «سَيِّدِهِمْ وَيُضْلِحُ بِالْهَمِّ» والمقتول لا يوصف بهذا. قال غيره: يكون المعنى سيهدهم إلى الجنة، أو سيهدهم من بقي منهم. أي: يحقق لهم الهداية. وقال ابن زياد: سيهدهم إلى محاجة منكر ونكير في القبر^(٥).

قال أبو المعالي: وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها؛ من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ . سَيِّدِهِمْ﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٢٣] معناه: فاسلكوهم إليها^(٦).

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٠ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٨٠ ، والمحور الوجيز ٥/ ١١١ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٧٩ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢١/ ١٩٠-١٩١ .

(٤) ٣٥٨/٥ - ٣٥٩ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٩٤ .

(٦) في (م) و(ق): فاسلكوا بهم إليها، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٧٣/١ وكلام أبي المعالي منه.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ ﴿٦﴾

أي: إذا دخلوها يقال لهم: تفرّقوا إلى منازلكم، فهم أعرّف بمنزلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم. قال معناه مجاهد وأكثر المفسرين^(١). وفي البخاري^(٢) ما يدل على صحة هذا القول عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ [فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا] حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَهْدِيَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ [مِنْهُ] بِمَنْزِلِهِ كَانَ^(٣) فِي الدُّنْيَا».

وقيل: «عَرَفَهَا لَهُمْ» أي: بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال^(٤).

قال الحسن: وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا، فلما دخلوها عرفوها بصفتها^(٥). وقيل: فيه حذف، أي: عَرَفَ طَرِقَهَا وَمَسَاكِنَهَا وَبَيوتَهَا لهم، فحذف المضاف.

وقيل: هذا التعريف بدليل، وهو المَلَكُ المَوْكَلُ بعمل العبد يمشي بين يديه^(٦) ويتبعه العبد حتى يأتي العبد منزله، ويعرفه المَلَكُ جميع ما جعل له في الجنة. وحديث أبي سعيد الخُدريّ يرده.

وقال ابن عباس: «عَرَفَهَا لَهُمْ» أي: طَيَّبَهَا لهم بأنواع الملاذ؛ مأخوذ من العَرَفَ،

(١) الوسيط ٤/١٢١ دون ذكر مجاهد، وينظر قوله في الكشاف ٣/٥٣٢، وزاد المسير ٧/٣٩٨.

(٢) في صحيحه (٦٥٣٥) وما سيأتي بين حاصرتين منه، وسلف عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الزمر. القنطرة: الجسر. اللسان (قنطر).

(٣) لفظة «كان» ليست في (م).

(٤) الوسيط ٤/١٢١.

(٥) النكت والعيون ٥/٢٩٤-٢٩٥.

(٦) تفسير الرازي ٢٨/٤٨ بنحوه.

وهو الرائحة الطيبة. وطعام مُعَرَّف، أي: مطيب^(١)، تقول العرب: عرّفت القدر: إذا طيبتها بالملح والأبزار^(٢).

وقال الشاعر يخاطب رجلاً ويمدحه:

عَرُفْتُ كَأَنْبِ عَرَفْتَهُ اللَّطَائِمُ

أيقول^(٣): كما عرّف الإنب، وهو البقير والبقيرة، وهو قميص لا كمين^(٤) له، تلبسه النساء^(٥).

وقيل: هو من وضع الطعام بعضه على بعض من كثرته، يقال: خزير^(٦) معرّف، أي: بعضه على بعض، وهو من العرف المتتابع كعرف الفرس.

وقيل: «عَرَفَهَا لَهُمْ» أي: وفّقهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة. وقيل: عرّف أهل السماء أنها لهم؛ إظهاراً لكرامتهم فيها. وقيل: عرّف المطيعين أنها لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ أي: إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفار. نظيره: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠] وقد تقدّم^(٧).

وقال قُطْرُب: إن تنصروا نبي الله ينصركم الله، والمعنى واحد.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ أي: عند القتال. وقيل: على الإسلام. وقيل: على الصراط.

(١) الوسيط ٤/١٢١، وتفسير البغوي ٤/١٧٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/١١٢ بنحوه.

(٣) في (م): يقوله.

(٤) في النسخ الخطية: كمي.

(٥) الصحاح (عرف) (بقر). اللطائم: - جمع لطيمة - قطعة مسك. اللسان (لطم).

(٦) في النسخ حرير، والمثبت من تهذيب اللغة ٢/٣٤٥، والكلام منه. والخزير: اللحم الغائب يؤخذ فيقطع صغاراً في القدر، ثم يطبخ بالماء الكثير والملح. اللسان (خزر).

(٧) ٤١٢/١٤.

وقيل: المراد تثبيت القلوب بالأمن^(١)؛ فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب^(٢).

وقد مضى في «الأنفال» هذا المعنى^(٣). وقال هناك: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢] فأثبت هناك واسطة ونفاها هنا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] ثم نفاه بقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] ومثله كثير؛ فلا فاعل إلا الله وحده.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحتتمل الرفع على الابتداء، والنصب بما يفسره «فَتَعَسَا لَهُمْ» كأنه قال: أتَعَسَ الذين كفروا^(٤).

و«تَعَسَا لَهُمْ» نصب على المصدر بسبيل الدعاء. قاله الفراء^(٥)، مثل: سَقِيَا له ورعيًا.

وهو نقيض: لَعَا له. قال الأعشى:

فالتَّعَسَ أَوْلَىٰ لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا^(٦)

(١) النكت والعيون ٢٩٥/٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥٠٧/٢.

(٣) ٤٦٦/٩.

(٤) الكشاف ٥٣٢/٣.

(٥) نقله عنه البغوي في تفسيره ١٨٠/٤.

(٦) الكشاف ٥٣٢/٤، والبيت في ديوان الأعشى ص ١٥٣، ودرة الغواص للحريري ص ١١٠ وروايتهما (أدنى) بدل (أولى) وصدرة: بذات لَوْثٍ عَفْرَنَاءَ إِذَا عَثَرَتْ. اللوث بالفتح: القوة، وناقاة عفرناة، أي: قوية. اللسان (لوث) (عفر). قال في درة الغواص: العرب تقول في الدعاء على العاثر: تعسا له وفي الدعاء له: لعأ.

وفيه عشرة أقوال: الأول: بُعْدًا لهم. قاله ابن عباس وابن جريج^(١). الثاني: خزيًا لهم^(٢). قاله السدي. الثالث: شقاء لهم. قاله ابن زيد. الرابع: شتمًا لهم من الله. قاله الحسن. الخامس: هلاكًا لهم. قاله ثعلب. السادس: خيبة لهم. قاله الضحاك وابن زيد. السابع: قبحًا لهم. حكاه النقاش. الثامن: رغبًا لهم. قاله الضحاك أيضاً^(٣). التاسع: شرًا لهم. قاله ثعلب أيضاً^(٤). العاشر: شقوة لهم. قاله أبو العالية^(٥). وقيل: إنَّ التَّعْسَ الانحطاطُ والعِثَارُ^(٦).

قال ابن السكيت: التَّعْسُ أن يَخِرَّ على وجهه^(٧). والتَّكْسُ أن يَخِرَّ على رأسه. قال: والتَّعْسُ أيضاً الهلاك^(٨).

قال الجوهري^(٩): وأصله الكَبُّ، وهو ضدُّ الانتعاش، وقد تَعَسَ - بفتح العين - يَتَّعَسُ تَعْسًا، وأتَّعسه الله. قال مُجَمِّع بن هلال^(١٠):
تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ خَلِيلِهَا^(١١) تَعَسْتِ كَمَا أَتَّعَسْتَنِي يَا مُجَمِّعُ^(١٢)

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٨٠.

(٢) في (م) و(ز) و(ق): حزنًا لهم، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٥/ ٢٩٥ والكلام منه.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٩٥، وتفسير البغوي ٤/ ١٨٠.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٦٧.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٨٠ وفيه: (سقوطًا) بدل (شقوة).

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٩٥.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٦٧، والمحرم الوجيز ٥/ ١١٢، ونسبه في تهذيب اللغة ٢/ ٧٨ للرُّسْتَمِي.

(٨) تهذيب اللغة ٢/ ٧٨، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٦٨.

(٩) في الصحاح (تعس).

(١٠) هو مجمّع بن مالك بن هلال، شاعر جاهلي. معجم الشعراء ص ٤٣٨.

(١١) في (م) و(ق) خليلها، والمثبت من باقي النسخ.

(١٢) البيت في درة الغواص ص ١١٠، والخزانة ١٠/ ٤٠٣.

يقال: تعساً لفلان، أي: ألزمه الله هلاكاً^(١). قال القشيري: وجوز قوم تعس

بكسر العين.

قلت: ومنه حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعْط لم يرض» خرجه البخاري^(٢). في بعض طرق هذا الحديث: «تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» خرجه ابن ماجه^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: أبطلها؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان^(٤). ودخلت الفاء في قوله: «فَتَعَسَا» لأجل الإبهام الذي في «الذين»، وجاء «وَأَصْلَ أَعْمَالُهُمْ» على الخبر حملاً على لفظ الذين؛ لأنه خبر في اللفظ، فدخل الفاء حملاً على المعنى، «وَأَصْلَ» حملاً على اللفظ.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

أي: ذلك الإضلال والإتعاس^(٥)؛ لأنهم ﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الكتب والشرائع. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: مالهم من صور الخيرات، كعمارة المسجد وقرى الضيف وأصناف القرب، ولا يقبل الله العمل إلا من مؤمن. وقيل: أحبط أعمالهم، أي: عبادة الصنم.

(١) الصحاح (تعس).

(٢) في صحيحه (٢٨٨٦). قوله: القطيفة كساء له خَمْلٌ؛ والخميصة: ثوب من خز أو صوف مُعْلَم، وكانت من لباس الناس قديماً. النهاية (قطف) (خمص).

(٣) في سننه (٤١٣٦)، وهو في صحيح البخاري أيضاً (٢٨٨٧) قوله: «انتكس» أي: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخبيثة، وقوله: «وإذا شيك فلا انتقش» أي: إذا دخلت فيه شوكة، لا أخرجها من موضعها وهو دعاء عليه أيضاً. النهاية (نقش) (نكس).

(٤) تفسير البغوي ١٨٠/٤.

(٥) الوسيط ١٢١/٤، وتفسير البغوي ١٨٠/٤.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾﴾

بَيَّنَّ أحوالَ المؤمن والكافر تنبيهاً على وجوب الإيمان، ثم وصل هذا بالنظر؛ أي: ألم يَسِرْ هؤلاء في أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بهم ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ بقلوبهم ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ آخرُ أمر الكافرين قبلهم ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكتهم واستأصلهم.

يقال: دمّره تدميراً ودمّره عليه، بمعنى^(١).

ثم توعد مشركي مكة فقال: ﴿وَالْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾^(٢) أي: أمثال هذه الفعلة^(٣)؛ يعني التدمير.

وقال الزّجاج والطبري: الهاء تعود على العاقبة؛ أي: وللكافرين من قريش أمثالُ عاقبة تكذيب الأمم السالفة إن لم يؤمنوا^(٤).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾﴾
أي: وليّهم وناصرهم^(٥).

وفي حرف ابن مسعود: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا». فالمولى: الناصر هاهنا. قاله ابن عباس وغيره. قال:

فَعَدَّتْ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا^(٦)

(١) الصحاح (دمر).

(٢) تفسير البغوي ٤/١٨٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/١١٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٨/٥، وتفسير الطبري ٢١/١٩٥.

(٥) تفسير البغوي ٤/١٨٠.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/١٨١-١٨٢. والبيت للبيد، وهو في ديوانه ص ٣١١، والبيت أيضاً في تهذيب اللغة ١٥/٦٣٩ وروايته فيه: (فعدت) بدل (فعدت) وذكر الأزهرى في شرح البيت أنه يصف =

قال قتادة: نزلت يوم أُحد والنبي ﷺ في الشعب إذ صاح المشركون: يومٌ بيوم، لنا العزى ولا عزى لكم؛ قال النبي ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» وقد تقدم^(١). ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ أي: لا ينصرهم أحد من الله^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ﴿١١﴾
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تقدم في غير موضع.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ﴾ في الدنيا كأنهم أنعام، ليس لهم همّة إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عمّا في غدّهم. وقيل: المؤمن في الدنيا يتزوّد، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع^(٣). ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ أي: مقام ومنزل^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ تقدم الكلام في «كَايْنٍ» في «آل عمران»^(٥). وهي هاهنا بمعنى كم، أي: وكم من قرية. وأنشد الأخفش قول لبيد:
وكائنُ رأينا من ملوكِ وسوقِةٍ ومفتاحِ قيّد للأسير المكبّل^(٦)

= بقرة وحشية غرها القناص فعدت، وكلا فرجيهما: وهما أمامها وخلفها، وقال في اللسان (فرج): الفرج الثغرُ المخوف، وهو موضع المخافة.

(١) ص ٢٥٠ من هذا الجزء.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٨/٥.

(٣) تفسير البغوي ٤/١٨٠.

(٤) الكشاف ٣/٥٣٢.

(٥) ٣٤٩/٥-٣٥١.

(٦) النكت والعيون ٥/٢٩٦، والبيت في ديوان لبيد ص ٣، ورواية البيت فيه:

وكائنُ رأيتُ من ملوكِ وسوقِةٍ وصاحبُتُ من وفيدِ كرامِ ومركبِ

فيكون معناه: وكم من أهل قرية ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ أي: أَخْرَجَكَ أَهْلَهَا^(١).

﴿أَهْلَكْنَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ قال قتادة وابن عباس: لما خرج النبي ﷺ من مكة إلى الغار، التفت إلى مكة وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتِ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتِ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا الْمُشْرِكُونَ أَهْلُكَ أَخْرَجُونِي لَمَا خَرَجْتَ مِنْكَ». فنزلت الآية^(٢)؛ ذكره الثعلبي، وهو حديث صحيح.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الألف ألف تقرير^(٣). ومعنى «على بينة» أي: على ثبات ويقين. قاله ابن عباس. أبو العالية: وهو محمد ﷺ. والبينة: الوحي^(٤).

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ أي: عبادة الأصنام، وهو أبو جهل والكفار^(٥). ﴿وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: ما اشتهوا. وهذا التزيين من جهة الله خلقاً. ويجوز أن يكون من الشيطان دعاءً ووسوسة. ويجوز أن يكون من الكافر، أي: زَيَّنَ لِنَفْسِهِ سُوءَ عَمَلِهِ وَأَصْرَّ عَلَى الْكُفْرِ.

وقال: «سوء» على لفظ «مَن» «وَأَتَّبَعُوا» على معناه^(٦).

(١) النكت والعيون ٢٩٦/٥.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٩٨/٢١ عن ابن عباس، وأخرجه بنحوه الترمذي (٣٩٢٦).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩/٥.

(٤) النكت والعيون ٢٩٦/٥.

(٥) تفسير البغوي ٤/١٨٠ بنحوه.

(٦) الكشاف ٤/٥٣٣.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ لما قال عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ» وصف تلك الجنات، أي: صفة الجنة المعدة للمتقين. وقد مضى الكلام في هذا في «الردة»^(١).

وقرأ علي بن أبي طالب: «مِثَالُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ»^(٢). ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي: غير متغير الرائحة. والآسن من الماء مثل الآجن^(٣).

وقد آسن الماء يأسن ويأسن أسوناً: إذا تغيرت رائحته. وكذلك آجن الماء يأجن ويأجن أجناً وأجوناً^(٤).

ويقال بالكسر فيهما: آجن وآسن يأسن ويأجن أسناً وأجناً. قاله الزبيدي.

وأسن الرجل أيضاً يأسن؛ بالكسر لا غير^(٥): إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة من ريح البئر أو غير ذلك، فغشي عليه أو دار رأسه، قال زهير:

قد أترك القرن مصفراً أنامله يَمِيدُ فِي الرُّمَحِ مَيْدَ المَائِحِ الأَسِنِ^(٦)

(١) ١٢/٨٠-٨١.

(٢) المحرر الوجيز ١١٤/٥.

(٣) زاد المسير ٤٠١/٧ بنحوه.

(٤) تفسير البغوي ١٨١/٤.

(٥) يعني في الماضي كما قيده صاحب القاموس على مثال: فرح.

(٦) الصحاح (أجن) (أسن)، والبيت في شرح ديوان زهير ص ١٢١، وخزانة الأدب ٢٥٩/١١، ورواية الديوان:

يغادر القرن مصفراً أنامله يَمِيلُ فِي الرُّمَحِ مَيْلَ المَائِحِ الأَسِنِ
القرن: كفؤك في الشجاعة. الصحاح (قرن). قال شارح الديوان: مصفراً أنامله؛ دنا موته فاصفرت أنامله، والمائح: الذي ينزل إلى أسفل البئر يملأ الدلو إذا قل الماء.

ويروى: «الوسين». وتأسن الماء: تغير. أبو زيد: تأسن عليّ تأسناً: اعتلّ وأبطأ. أبو عمرو: تأسن الرجل أباه: أخذ أخلاقه. وقال اللحياني: إذا نزع إليه في الشبه^(١).

وقراءة العامة: «أسن» بالمدّ. وقرأ ابن كثير وحُميد: «أسين» بالقصر، وهما لغتان^(٢)، مثل حاذر وحذِر. وقال الأخفش: أسين للحال، وآسن مثل فاعل يراد به الاستقبال. ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَبَغَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي: لم يحمض بطول المقام كما تتغير ألبان الدنيا على الحموضة^(٣).

﴿وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: لم تُدنسها الأرجل ولم تُرنقها الأيدي كخمر الدنيا^(٤)؛ فهي لذية الطعم، طيبة الشرب، لا يتكرهها الشاربون. يقال: شراب لذّ ولذيد بمعنى. واستلذه: عدّه لذياً^(٥).

﴿وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ العسل ما يسيل من لعاب النحل^(٦). «مُصَفًّى» أي: من الشمع والقذى، خلقه الله كذلك؛ لم يطبخ على نار، ولا دنسه النحل. وفي الترمذي عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «إنّ في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد». قال: حديث حسن صحيح^(٧).

وفي صحيح مسلم^(٨) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّحَانُ وَجَيِّحَانُ وَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، كلٌّ من أنهار الجنة». وقال كعب: نهر دجلة نهر ماء أهل

(١) الصحاح (أسن).

(٢) السبعة ص ٦٠٠، والتيسير ص ٢٠٠.

(٣) الوسيط ١٢٢/٤.

(٤) تفسير البغوي ١٨١/٤ بنحوه. وترنق، أي: تكذّر.

(٥) الصحاح (لذ).

(٦) تهذيب اللغة ٩٣/٢.

(٧) سنن الترمذي (٢٥٧١)، وهو في مسند أحمد (٢٠٠٥٢).

(٨) برقم (٢٨٣٩)، وسلف ٢٩/١٦.

الجنة، ونهر الفرات نهرُ لبيهم، ونهر مصرَ نهرُ خميرهم، ونهر سَيحان نهرُ عسليمهم. وهذه الأنهار الأربعةُ تخرج من نهر الكوثر^(١).

والعسل: يذكَر ويؤنث. وقال ابن عباس: «مِن عَسَلٍ مُصَفًّى» أي: لم يخرج من بطون النَّحل^(٢).

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ «من» زائدة للتأكيد.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: لذنوبهم. ﴿كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء: المعنى أَمَّن يخلد في هذا النَّعيم كمن يخلد في النَّار^(٣). وقال الزجاج^(٤): أي: أَمَّن كان على بَيِّنَةٍ من ربه وأعطى هذه الأشياء كمن زُين له سوء عمله وهو خالد في النار؟! فقله: «كَمَنْ» بدل من قوله: «أَمَّن زُينَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ». وقال ابن كيسان: مثلُ هذه الجنة التي فيها الثمار والأنهار كمثلِ النار التي فيها الحميم والزقوم. ومثلُ أهل الجنة في النعيم المقيم كمثلِ أهل النار في العذاب المقيم.

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: حارًا شديد الغليان، إذا أُذني^(٥) منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قَطَعَ أمعاءهم وأخرجها من دبورهم. والأمعاء: جمع مَعَى، والثنية مِعْيَان، وهو جميع ما في البطن من الحوايا^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي: من هؤلاء الذين يتمتعون ويأكلون كما

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٨١ .

(٢) الكشاف ٣/ ٥٣٤ دون نسبة.

(٣) زاد المسير ٧/ ٤٠١ .

(٤) في معاني القرآن له ١٠/ ٥ .

(٥) في النسخ الخطية: دنى، والمثبت من (م).

(٦) تفسير البغوي ٤/ ١٨١ .

تأكل الأنعام، وُزِينَ لَهُمْ سُوءُ عَمَلِهِمْ، قَوْمٌ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ. وهم المنافقون: عبد الله ابن أبي ابن سلول، ورفاعة بن الثابت، وزيد بن الصلبي، والحارث بن عمرو، ومالك بن دُحْشَم، كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة، فإذا سمعوا ذَكَرَ المنافقين فيها أَعْرَضُوا عَنْهُ، فإذا خرجوا سألوا عنه. قاله الكلبي ومقاتل. وقيل: كانوا يحضرون عند رسول الله ﷺ مع المؤمنين، فيستمعون منه ما يقول، فَيَعِيهِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَعِيهِ الْكَافِرُ^(١). ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: إذا فارقوا مجلسك. ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال عكرمة: هو عبد الله بن العباس^(٢). قال ابن عباس: كنت ممن يُسأل^(٣)، أي: كنت من الذين أوتوا العلم.

وفي رواية عن ابن عباس: أنه يريد عبد الله بن مسعود^(٤). وكذا قال عبد الله بن بريدة: هو عبد الله بن مسعود. وقال القاسم بن عبد الرحمن: هو أبو الدرداء. وقال ابن زيد: إنهم الصحابة^(٥).

﴿مَادَا قَالَ آئِنًا﴾ أي: الآن؛ على جهة الاستهزاء، أي: أنا لم نلتفت^(٦) إلى قوله. و«آئِنًا» يراد به الساعة التي هي أقرب الأوقات إليك^(٧)، من قولك: استأنفت الشيء: إذا ابتدأت به. ومنه أمرُ أنف، وروضة أنف؛ أي: لم يرعها أحد^(٨). وكأس أنف: إذا لم يُشرب منها شيء، كأنه استؤنف شربها، مثل روضة أنف^(٩).

(١) النكت والعيون ٢٩٧/٥ وفيه: «ولا يعيه المنافق» بدل «ولا يعيه الكافر».

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير البغوي ١٨١/٤، والكشاف ٥٣٤/٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٤/٢١، والحاكم في المستدرک ٤٥٧/٢.

(٤) تفسير البغوي ١٨١/٤، والمحرم الوجيز ١١٥/٥ دون ذكر أنه رواية عن ابن عباس.

(٥) النكت والعيون ٢٩٨/٥.

(٦) في النسخ عدا (د) و(ظ): ألتفت.

(٧) قوله: «إليك» من (م).

(٨) معاني القرآن للنحاس ٤٧٥/٦ بنحوه.

(٩) الصحاح (أنف).

قال الشاعر :

وَيَحْرُمُ سِرَّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ^(١)

وقال آخر :

إِنَّ الشُّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالكَاسَ الْأَنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ خُنْفٌ^(٢)

وقال امرؤ القيس :

قَدْ غَدَا يَحْمَلُنِي فِي أَنْفِهِ^(٣)

أي : في أوله . وَأَنْفُ كُلِّ شَيْءٍ أَوْلُهُ .

وقال قتادة في هؤلاء المنافقين : الناس رجلان : رجلٌ عَقَلَ عن الله فانتفع بما

سمع ، ورجلٌ لم يعقل ولم ينتفع بما سمع . وكان يقال : الناس ثلاثة : فسامعٌ عامل ، وسامعٌ عاقل ، وسامعٌ غافل تارك^(٤) .

قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلم يؤمنوا . ﴿وَالْبَعُولَ أَهْلَاءَهُمْ﴾

في الكفر . ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ أي : للإيمان ؛ زادهم الله هدى . وقيل : زادهم النبي ﷺ هدى^(٥) .

(١) البيت للحطيئة، وقوله : أنْفُ الْقِصَاعِ، يعني جيد الطعام وصفوته، وسلف البيت ١٤٩/٤ .

(٢) الرجز للقيط بن زرارة كما في الكامل ٨٨٧/٢ . وهو أيضاً في الشعر والشعراء ٧١١/٢ ، وفيه : قُطْفٌ، بدل : خُنْفٌ . والخنف جمع خُنُوفٍ، وهي الدابة إذا مالت بيديها في أحد شقيها من النشاط . اللسان (خنف) .

ورقع في (خ) وهو حاشية في (ق) ما نصه : النشيل لحم يطبخ بلا توابل، والرغف جمع رغيف، ويقال : أرغفة ورغفان . اهـ . والكلام في الصحاح (نشل) .

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٤٦ ، وعجز البيت : لاحق الإطلين محبوبك مَمْرٌ، قال شارحه : يحملني في أنفه أي : في أول هذه المطرة، وأنف كل شيء : أوله، لاحق الإطلين : يعني فرساً ضامر الكشحين، والمحبوك : المدمج الخلق الشديد، والممر نحوه في المعنى .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٣/٢١ .

(٥) تفسير الرازي ٥٩/٢٨ بنحوه .

وقيل: ما يستمعونه من القرآن هدى، أي: يتضاعف يقينهم. وقال الفراء^(١): زادهم إعراضُ المنافقين واستهزاؤهم هدى. وقيل: زادهم نزولُ الناسخ هدى. وفي الهدى الذي زادهم أربعة أقاويل: أحدها: زادهم علماً. قاله الربيع بن أنس. الثاني: أنهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا. قاله الضحاك. الثالث: زادهم بصيرة في دينهم وتصديقاً لنبيهم. قاله الكلبي. الرابع: شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان^(٢).

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ نَقْوَتَهُمْ﴾ أي: ألهمهم إياها^(٣). وقيل فيه خمسة أوجه: أحدها: آتاهم الخشية. قاله الربيع. الثاني: ثواب تقواهم في الآخرة. قاله السدي. الثالث: وفقهم للعمل الذي فرض عليهم. قاله مقاتل. الرابع: بين لهم ما يتقون. قاله ابن زياد والسدي أيضاً. الخامس: أنه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ. قاله عطية. الماوردي^(٤). ويحتمل سادساً: أنه ترك الرخص والأخذ بالعزائم^(٥).

وقرئ: «وَأَعْطَاهُمْ» بدل: «وَأَتَاهُمْ»^(٦). وقال عكرمة: هذه نزلت فيمن آمن من أهل الكتاب^(٧).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: فجأة. وهذا وعيد

(١) في معاني القرآن له ٦١/٣ بنحوه، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٢٩٨/٥ وما قبله منه.

(٢) النكت والعيون ٢٩٨/٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١١/٥.

(٤) النكت والعيون ٢٩٨/٥ وما قبله منه دون قول السدي: بين لهم ما يتقون، وهو في الكشاف ٥٣٤/٣.

(٥) مجمع البيان ٣٨/٢٦.

(٦) الكشاف ٥٣٤/٣.

(٧) زاد المسير ٤٠٣/٧.

للكفار ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: أماراتها وعلاماتها^(١). وكانوا قد قرؤوا في كتبهم أنّ محمداً ﷺ آخر الأنبياء، فَبَعَثَهُ من أشراطها وأدلتها. قاله الضحاك والحسن^(٢).

وفي الصحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وضمّ السبابة والوسطى، لفظ مسلم: وخرّجه البخاريّ والترمذيّ وابن ماجه^(٣).

ويروى: «بعثتُ والساعة كَفَرَسِي رِهَان»^(٤). وقيل: أشراطُ الساعة: أسبابُها التي هي دون معظمها، ومنه يقال للذون من النَّاسِ: الشَّرَطُ^(٥).

وقيل: يعني علامات الساعة؛ انشقاق القمر، والدخان، قاله الحسن أيضاً^(٦).

وعن الكلبي: كثرةُ المال، والتجارة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلّة الكرام، وكثرة اللثام^(٧). وقد أتينا على هذا الباب في كتاب «التذكرة» مستوفىً والحمد لله^(٨).

وواحد الأَشْرَاطِ شَرَطٌ، وأصله الأعلام. ومنه قيل: الشَّرَطُ؛ لأنَّهم جعلوا لأنفسهم علامةً يعرفون بها، ومنه الشَّرَطُ في البيع وغيره^(٩).

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٨٢.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٩٩ بنحوه عند الضحاك.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٥١): (١٣٥)، وصحيح البخاري (٦٥٠٤)، وسنن الترمذي (٢٢١٤) وهو في مسند أحمد (١٢٢٤٥) من حديث أنس ﷺ، وأخرجه البخاري (٦٥٠٥)، وابن ماجه (٤٠٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه أحمد (١٤٤٣١)، وابن ماجه (٤٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وسلف حديث أنس ﷺ ١٢/ ٢٦٨.

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٨٠٩)، والبيهقي في الشعب (١٠٢٣٧)، وأبو الشيخ في الأمثال (٣٤٧) من حديث سهل بن سعد ﷺ. قوله: كفرسي رهان: أي: يتسابقان إلى غاية. النهاية (فرس).

(٥) تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٩.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٩٩ دون ذكر الدخان.

(٧) الكشاف ٣/ ٣٥٣.

(٨) ص ٦٢٤ فما بعدها.

(٩) تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٨-٣٠٩.

قال أبو الأسود:

فإن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا فقد جعلت أشرط أوله تبدو^(١)

ويقال: أشرط فلان نفسه في عمل كذا أي: أعلمها وجعلها له. قال أوس بن حجر يصف رجلاً تدلى بحبل من رأس جبل إلى نبعة ليقطعها يتخذ^(٢) منها قوساً:

فأشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ^(٣) وَهُوَ مُعْصِمٌ وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلَا^(٤)

﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْتَةٌ﴾ «أَنْ» بدل اشتمال من «الساعة»، نحو قوله: ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ من قوله: ﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾.

وقرئ: «بَعْتَةٌ» بوزن جَرَبَةٍ^(٥)، وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها، وهي مَرَوِيَةٌ عن أبي عمرو. الزمخشري^(٦): وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي عن أبي عمرو، وأن يكون الصواب «بَعْتَةٌ» بفتح الغين من غير تشديد، كقراءة الحسن.

وروي أبو جعفر الرؤاسي وغيره من أهل مكة: «إِنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْتَةٌ»^(٧).

قال المهدي: ومن قرأ: «إِنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْتَةٌ» كان الوقف على «الساعة»، ثم استأنف الشرط. وما يحتمله الكلام من الشك مردود إلى الخلق، كأنه قال: إن شكوا في مجيئها «فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا».

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ «ذِكْرَاهُمْ» ابتداء، و«أَنَّى لَهُمْ» الخبر. والضمير المرفوع في «جَاءَتْهُمْ» للساعة؛ التقدير: فمن أين لهم التذكُّر إذا جاءتهم

(١) البيت في الأغاني ٣٣٤/١٢، والكشاف ٥٣٥/٣. الصَّرم: الهجران اللسان (صرم). وهي أبيات قالها في أبي الجارود الشاعر وكان قد هجره كما في الأغاني.

(٢) في (م): يقطعها ليتخذ.

(٣) في النسخ: نفسه فيها، والمثبت من جمهرة اللغة (رشط) - والكلام فيه بنحوه، ومما سلف ٢٣٧/٥.

(٤) جاء في (خ) و(ز) بعد البيت - وهو في حاشية (ق) - ما نصه: النبع شجرٌ يتخذ منه القسي، الواحدة: نبعة، ويتخذ من أغصانها السهام. اهـ. وهذا الكلام في الصحاح (نبع).

(٥) أي: جماعة الحُمُر. اللسان (جرب).

(٦) في الكشاف ٥٣٥/٣ وما قبله منه، والقراءة أيضاً في المحرر الوجيز ١١٦/٥، والمحتسب ٢٧١/٢.

(٧) المحرر الوجيز ١١٦/٥، والقراءة في المحتسب ٢٧٠/٢، ووقع في النسخ عدا (م) و(ق) تأتيمهم.

الساعة. قال معناه قتادة وغيره^(١).

وقيل: فكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الذكري عند مجيء الساعة! قاله ابن زيد^(٢).
وفي الذكري وجهان: أحدهما: تذكيرهم بما عملوه من خير أو شر. الثاني: هو دعاؤهم بأسمائهم تبشيراً وتخويفاً، روى أبان عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «أحسنوا أسماءكم، فإنكم تُدعون بها يوم القيامة: يا فلانُ قُمْ إلى نُورك، يا فلانُ قُمْ لا نُور لك» ذكره الماوردي^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الماوردي^(٤): وفيه - وإن كان الرسول عالماً بالله - ثلاثة أوجه: يعني أعلم أن الله أعلمك أن لا إله إلا الله. الثاني: ما علمته استدلالاً فاعلمه خبراً يقيناً. الثالث: يعني فاذكر أن لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه.

وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوًى﴾ إلى قوله: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢٠-٢١] وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]. ثم قال بعد: ﴿فَأَحْذَرُوهُمْ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسُهُ﴾ [الأنفال: ٤١]. ثم أمر

(١) مشكل إعراب القرآن ٦٧٣/٢ دون نسبة، وذكر معنى قول قتادة أبو الليث في تفسيره ٢٤٣/٣، والواحدي في الوسيط ١٢٤/٤.

(٢) النكت والعيون ٢٩٩/٥.

(٣) في النكت والعيون ٢٩٩/٥-٣٠٠، وذكره الديلمي في الفردوس ٩٨/١، وسلف ١٠١/١٣ بنحوه عن أبي الدرداء وإسناده منقطع.

(٤) في النكت والعيون ٣٠٠/٥.

(٥) كذا وقع في النسخ، والكشاف ٥٣٥/٣، والكلام منه، ولعله يريد الآية (١٤) من التغابن: ﴿إِنَّ مِثْرَةَ الْإِنسَانِ خِزْيَانٌ رَّذِيذٌ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

بالعمل بعد.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: يعني استغفر الله إن يقع منك ذنب. الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب^(١).

وقيل: لما ذكر له حال الكافرين والمؤمنين، أمره بالثبات على الإيمان، أي: اثبُتْ على ما أنت عليه من التوحيد والإخلاص والحدْر عما تحتاج معه إلى استغفار^(٢).

وقيل: الخطابُ له، والمرادُ به الأمة، وعلى هذا القول توجب الآيةُ استغفارَ الإنسان لجميع المسلمين^(٣).

وقيل: كان عليه الصلاة والسلام يضيّق صدره من كفر الكفار والمنافقين؛ فنزلت الآية. أي: فاعلم أنه لا كاشف يكشف ما بك إلا الله؛ فلا تعلق قلبك بأحد سواه. وقيل: أمر بالاستغفار لتقتدي به الأمة^(٤). ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: ولذنوبهم. وهذا أمرٌ بالشفاعة^(٥).

وروى مسلم عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس المخزومي قال: أتيت النبي ﷺ وأكلتُ من طعامه فقلت: يا رسول الله، غفر الله لك! فقال له صاحبي: هل استغفر لك النبي ﷺ؟ قال: نعم، ولك. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ثم تحوّلت فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، جمع^(٦)؛ خيلاً كأنه الثاليل^(٧).

(١) النكت والعيون ٣٠٠/٥.

(٢) الكشاف ٥٣٥/٣ بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ١١٦/٥.

(٤) تفسير البغوي ١٨٢/٤ بنحوه.

(٥) الوسيط ١٢٥/٤.

(٦) كذا في (خ) و(د) و(ز) و(ف) و(ق)، وفي (ظ): جميع، وهي نسخة كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم ٩٩/١٥. ووقع في (م): جمعاً.

(٧) صحيح مسلم (٢٣٤٦) بنحوه وما بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضاً بنحوه أحمد (٢٠٧٧٨). قوله: =

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: يعلم أعمالكم في تصرفكم وإقامتكم^(١). الثاني: «مُتَقَلَّبَكُمْ» في أعمالكم نهائياً «وَمَثْوَاكُمْ» في ليلكم نياماً^(٢).

وقيل: «مُتَقَلَّبَكُمْ» في الدنيا. «وَمَثْوَاكُمْ» في الدنيا والآخرة. قاله ابن عباس والضحاك. وقال عكرمة: «مُتَقَلَّبَكُمْ» في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات. «وَمَثْوَاكُمْ»: مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان: «مُتَقَلَّبَكُمْ» من ظهر إلى بطن إلى الدنيا. «وَمَثْوَاكُمْ» في القبور^(٣).

قلت: والعموم يأتي على هذا كله، فلا يخفى عليه سبحانه شيء من حركات بني آدم وسكناتهم، وكذا جميع خلقه. فهو عالم بجميع ذلك قبل كونه؛ جملة وتفصيلاً؛ أولى وأخرى. سبحانه، لا إله إلا هو.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذِكْرَ فِيهَا الْقِتَالِ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٢﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوَّ صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: المؤمنون المخلصون. ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ اشتقاقاً للوحي وحرصاً على الجهاد وثوابه. ومعنى «لَوْلَا» هلا^(٤). ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ لا نسخ فيها. قال قتادة: كلُّ سورة ذكر فيها الجهاد فهي مُحْكَمَةٌ، وهي أشدُّ

= جمع؛ يريد مثل جمع الكف؛ وهو أن يجمع الأصابع ويضمها. خيلاً: جمع خال؛ وهو الشامة في الجسد. الثأليل: جمع ثؤلول؛ وهو هذه الحبة التي تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها. النهاية (جمع) (خيل) (ثأل).

(١) معاني القرآن للزجاج ١٢/٥ .

(٢) النكت والعيون ٣٠٠/٥ .

(٣) تفسير البغوي ١٨٣/٤ .

(٤) زاد المسير ٤٠٥/٧ .

القرآن على المنافقين^(١). وفي قراءة عبد الله: «فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ مُحَدَّثَةً»^(٢)، أي: محدثته النزول. ﴿وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ﴾^(٣) أي: فُرض فيها الجهاد^(٣).

وقرئ: «فَإِذَا نَزَلَتْ»^(٤) سُورَةٌ، وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ» على البناء للفاعل ونصب القتال. ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(٥) أي: شكٌ ونفاق^(٥). ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٦) أي: نظر مغمومين^(٦) مغتاظين بتحديد وتحديق، كمن يشخص بصره عند الموت؛ وذلك لجبنهم عن القتال جزعاً وهلعاً^(٧)، ولميلهم في السر إلى الكفار.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ . طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾^(٨) «فَأُولَىٰ لَهُمْ» قال الجوهري^(٨): وقولهم: أُولَىٰ لَكَ، تهديد ووعيد. قال الشاعر:

فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ وهل لِدَرٍّ يُحَلَبُ مِنْ مَرَدٍّ
قال الأصمعي: معناه قَارَبَهُ ما يُهْلِكُهُ؛ أي: نزل به. وأنشد:

فَعَادَى بَيْنَ هَادِيَتَيْنِ مِنْهَا وَأُولَىٰ أَنْ يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ^(٩)
أي: قارب أن يزيد. قال ثعلب: ولم يقل أحد في «أُولَىٰ» أحسن مما قال الأصمعي^(١٠).

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٨٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢١/ ٢١٠.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٠٠، والكشاف ٣/ ٥٣٥.

(٣) زاد المسير ٧/ ٤٠٥.

(٤) في (م) و(خ): أنزلت، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف ٣/ ٥٣٥ والكلام منه.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٤٤.

(٦) في (م) و(خ): مغموصين، والمثبت من باقي النسخ.

(٧) تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٢، والكشاف ٣/ ٥٣٥ بنحوه.

(٨) في الصحاح (ولي)، والبيت الآتي لعبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغاني ١٤/ ٢٣٧.

(٩) البيت أيضاً في خزانة الأدب ٩/ ٣٤٥ قال البغدادى: قال ابن عقيل: عادى؛ من العداء، وهو الموالاة بين الصيدين بصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد، والهادية: أوّل الوحش.

(١٠) الصحاح (ولي)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٤٤٨.

وقال المُبَرِّد: يقال لمن هَمَّ بِالْعَطْبِ^(١) ثم أفلت: أُولَى لك؛ أي: قاربت العطب^(٢).

كما رُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا كَانَ يُوَالِي رَمِيَّ الصَّيْدِ، فَيُقْلِتُ مِنْهُ فَيَقُولُ: أُولَى لَكَ. ثُمَّ رَمَى صَيْدًا فَقَارَبَهُ ثُمَّ أَفْلَتَ مِنْهُ فَقَالَ:

فَلَوْ كَانَ «أُولَى» يُطْعِمُ الْقَوْمَ صِدْتُهُمْ وَلَكِنْ «أُولَى» يَشْرِكُ الْقَوْمَ جُوعًا^(٣)

وقيل: هو كقول الرجل لصاحبه: يا محروم، أيُّ شيء فاتك^(٤)؟

وقال الجُرْجَانِيُّ: هو مأخوذ من الويل، فهو أفعل، ولكن فيه قلب؛ وهو أن عين الفعل وقع موقع اللام. وقد تمَّ الكلام على قوله: «فأُولَى لَهُمْ».

قال قتادة: كأنه قال: العِقَابُ أُولَى لَهُمْ^(٥). وقيل: أي: وَلِيَهُم المَكْرُوه^(٦).

ثم قال: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ» أي: طاعة وقول معروف أمثل وأحسن، وهو مذهب سيبويه والخليل.

وقيل: إنَّ التَّقْدِيرَ: أَمَرْنَا طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفٍ^(٧)؛ فحذف المبتدأ، فيوقف على «فأُولَى لَهُمْ». وكذا من قَدَّرَ: يَقُولُونَ مِنَّا طَاعَةً^(٨)، وهي قراءة أَبِي: «يقولون طاعة»^(٩).

(١) في (ظ): هَمَّ بِالغَضَبِ.

(٢) في (ظ): قاربت الغضب.

(٣) في (د) و(ظ) و(ق) صيدهم، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في معاني القرآن للنحاس ٤٧٩/٦ والكلام منه، والبيت أيضاً في الكامل ١٤١٦/٣، والخزانة ٣٤٦/٩. قال البغدادي: هو بيت لرجل يقتنص الصيد، فإذا أفلته الصيد قال: أُولَى لَكَ. اهـ. وقوله: صدَّتْهُمْ، أي: صدتْ لهم، قال في اللسان: صدت فلاناً صيداً: إذا صدته له. اللسان (صيد).

(٤) تهذيب اللغة ٤٤٨/١٥.

(٥) النكت والعيون ٣٠١/٥.

(٦) تفسير أبي الليث ٢٤٤/٣.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٨٧/٤.

(٨) مشكل إعراب القرآن ٦٧٤/٢.

(٩) قوله: وهي قراءة أَبِي... الخ، وقع في (ظ) في هذا الموضع، وهو الصواب، ووقع في باقي النسخ =

وقيل: إن الآية الثانية متصله بالأولى. واللام في قوله: «لَهُمْ» بمعنى الباء^(١)؛ أي: الطاعة أولى وأليقُ بهم، وأحقُّ لهم من ترك امتثال أمر الله.

وقيل إن: «طَاعَةً» نعت لـ «سورة»؛ على تقدير: فإذا أنزلت سورة ذات طاعة. فلا يوقف على هذا على «فَأُولَى لَهُمْ»^(٢).

قال ابن عباس: إن قولهم: «طَاعَةً» إخبارٌ من الله عزَّ وجلَّ عن المنافقين. والمعنى: لهم طاعةٌ وقولٌ معروف، قيل: وجوب الفرائض عليهم، فإذا أنزلت الفرائض شقَّ عليهم نزولها. فيوقف على هذا على «فَأُولَى».

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جدَّ القتال، أو وجب فرض القتال^(٣)، كرهوه. فكرهوه جواب «إذا» وهو محذوف.

وقيل: المعنى فإذا عزم أصحاب الأمر^(٤). ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أي: في الإيمان والجهاد^(٥). ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من المعصية والمخالفة.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿٣٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٣٤﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ اختلف في معنى «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ» فقيل: هو من الولاية.

= بعد قوله: «وأحقُّ لهم من ترك امتثال أمر الله». الآتي. وهي في الكشاف ٥٣٦/٣، والرازي ٦٣/٢٨.

(١) تفسير البغوي ١٨٣/٤.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٦٧٤/٢. وقال مكي: القولان الأولان آيين وأشهر.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٣/٥، وتفسير البغوي ١٨٣/٤ بنحوه.

(٤) الكشاف ٥٣٦/٣، وتفسير الرازي ٦٣/٢٨.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٨١/٦.

قال أبو العالية: المعنى فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجعَلتم حكّاماً أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرُّشَا. وقال الكلبي: أي: فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم. وقال ابن جريج: المعنى: فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام^(١).

وقال كعب: المعنى: فهل عسيتم إن توليتم الأمر أن يقتل بعضكم بعضاً^(٢).

وقيل: من الإعراض عن الشيء.

قال قتادة: أي: فهل عسيتم إن توليتم عن كتاب الله أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء الحرام، وتقطعوا أرحامكم^(٣).

وقيل: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ» أي: فلعلكم إن عرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه، أن تفسدوا في الأرض فتعودوا إلى جاهليّكم^(٤).

وقرىء بفتح السين وكسرها^(٥). وقد مضى في «البقرة» القول فيه مستوفى^(٦).

وقال بكر المزني: إنَّها نزلت في الحرورية والخوارج. وفيه بُعد، والأظهر أنه إنما عُني بها المنافقون. وقال ابن حيان: قریش^(٧).

ونحوه قال المسيّب بن شريك والفراء، قالوا: نزلت في بني أمية وبني هاشم^(٨)، ودليل هذا التأويل ما روى عبد الله بن مَعْقَل قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿فَهَلْ

(١) النكت والعيون ٣٠١/٥ - ٣٠٢.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٨٢/٦.

(٣) النكت والعيون ٣٠٢/٥.

(٤) تفسير البغوي ١٨٣/٤.

(٥) قرأ نافع بكسر السين، والباقون بالفتح. السبعة ص ١٨٦، والتيسير ص ٨١.

(٦) ٢٢٩/٤.

(٧) النكت والعيون ٣٠٢/٥ دون ذكر الحرورية، وذكر أنها في الحرورية النحاس في معاني القرآن له ٤٨٢/٦.

(٨) تفسير البغوي ١٨٤/٤.

عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ ثُمَّ قَالَ: «هم هذا الحي من قريش؛ أخذ الله عليهم إن ولوا الناس ألا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم»^(١).

وقرأ علي بن أبي طالب: «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» بضم التاء والواو وكسر اللام^(٢). وهي قراءة ابن أبي إسحاق، ورواها رؤيس عن يعقوب^(٣).

يقول: إن وليتكم ولاة جائرة، خرجتم معهم في الفتنة وحاربتموهم^(٤). ﴿وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ بالبغي والظلم والقتل^(٥).

وقرأ يعقوب وسلام وعيسى وأبو حاتم: «وَتَقَطَّعُوا»^(٦) بفتح التاء وتخفيف القاف، من القطع؛ اعتباراً بقوله تعالى: ﴿وَيَقَطُّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧]. وروى هذه القراءة هارون عن أبي عمرو^(٧). وقرأ الحسن: «وَتَقَطَّعُوا» مفتوحة الحروف مشددة^(٨)؛ اعتباراً بقوله تعالى: ﴿وَيَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣]. الباقون: «وَتَقَطَّعُوا» بضم التاء مشددة الطاء، من التقطيع على الكثير، وهو اختيار أبي عبيد. وتقدم ذكر «عَسَيْتُمْ» في «البقرة»^(٩).

وقال الزجاج^(١٠) في قراءة نافع: لو جاز هذا لجاز «عَسِي» بالكسر.

قال الجوهري^(١١): ويقال عَسَيْتَ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، وَعَسَيْتَ بِالْكَسْرِ. وقرئ: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ» بالكسر.

(١) أخرجه الطبري في تهذيبه كما في فتح الباري ٥٨١/٨ .

(٢) تفسير البغوي ١٨٤/٤ ، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٤٠ ، والمحتسب ٢٧٢/٢ .

(٣) النشر ٣٧٤/٢ ، وهي من العشرة .

(٤) تفسير البغوي ١٨٤/٤ .

(٥) الوسيط ١٢٧/٤ .

(٦) قراءة يعقوب في النشر ٣٧٤/٢ ، وهي من العشرة ، وقراءة سلام في القراءات الشاذة ص ١٤٠ .

(٧) المحرر الوجيز ١١٨/٥ دون ذكر هارون .

(٨) البحر المحيط ٨٢/٨ .

(٩) ٢٢٩/٤ .

(١٠) في معاني القرآن له ١٣/٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ١٨٧/٤ .

(١١) في الصحاح (عسا).

قلت: ويدل قوله هذا على أنَّهما لغتان. وقد مضى القول فيه في «البقرة» مستوفى^(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم وأبعدهم من رحمته^(٢) ﴿فَأَصْمَعُوا﴾ عن الحق ﴿وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: قلوبهم عن الخير. فأتبع الأخبار بأنَّ من فعل ذلك حَقَّتْ عليه لعنته، وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره حتى لا يتقاد للحق وإن سمعه، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل. وقال: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ» ثم قال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» فرجع من الخطاب إلى الغيبة على عادة العرب في ذلك.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: يتفهمونه فيعلمون ما أعدَّ الله للذين لم يتولوا غير^(٣) الإسلام. ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي: بل على قلوب أقفال أقفلها الله عزَّ وجلَّ عليهم فهم لا يعقلون^(٤). وهذا يرِدُّ على القدرية والإمامية مذهبهم.

وفي حديث مرفوع أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ عَلَيْهَا أَقْفَالًا كَأَقْفَالِ الْحَدِيدِ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ يَفْتَحُهَا»^(٥). وأصل القفل: اليُسُّ والصلابة.

ويقال لما يس من الشجر: القفل. والقفيل مثله. والقفيل أيضاً: نبت. والقفيل: السوط^(٦). قال الراجز:

(١) ٢٢٩/٤ - ٢٣٠.

(٢) تفسير أبي الليث ٢٤٥/٣.

(٣) في (م): عن.

(٤) تفسير الطبري ٢١٥/٢١.

(٥) كذا ذكر المصنف رحمه الله، والذي أخرجه الطبري في تفسيره ٢١٧/٢١، والواحدي في الوسيط ١٢٧/٤، والبخاري ١٨٤/٤، من حديث هشام بن عروة، عن أبيه. قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فقال شابٌّ من أهل اليمن: بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها. واللفظ للبخاري.

(٦) في (م) و(د) و(ز) و(ق): الصوت، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الصحاح والكلام منه.

لَمَّا أَتَاكَ يَابَسًا قِرْشَبًا قَمَتَ إِلَيْهِ بِالْقَفِيلِ ضَرْبًا
كَيْفَ قَرَّيْتَ شَيْخَكَ الْأَرْبَا^(١)

الْقِرْشَبُ؛ بكسر القاف: الْمُسِينُ؛ عن الأصمعي. وأقفله الصوم، أي: أيسه. قاله
القشيريّ والجوهريّ^(٢). فالأقفال هاهنا إشارة إلى ارتجاج القلب وخلوّه عن الإيمان.
أي: لا يدخل قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر؛ لأنّ الله تعالى طبع على قلوبهم
وقال: «عَلَى قُلُوبٍ» لأنّه لو قال: على قلوبهم، لم يدخل قلب غيرهم في هذه
الجملة. والمراد: أم على قلوب هؤلاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة أفعالها.

الثالثة: في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ
الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ.
قَالَ: نَعَمْ: أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ:
فَذَاكَ لِكَ - ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ. أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
الْقُرْآنَ أَنْ عَالَى قُلُوبٍ أَفْعَالُهَا﴾^(٣)

وظاهر الآية أنّها خطاب لجميع الكفار. وقال قتادة وغيره: معنى الآية فلعلكم،
أو يخاف عليكم، إن أعرضتم عن الإيمان أن تعودوا إلى الفساد في الأرض بسفك^(٤)
الدماء^(٥).

قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تَوَلَّوْا عن كتاب الله تعالى! ألم يسفكوا الدماء

(١) الصحاح (قفل) (قرشب)، ونسب الرجز في اللسان (قفل) لأبي محمد الفقعسي، وهو أيضاً في
الأصمعيات ص ١٦٣ دون نسبة وباختلاف في ترتيبه، وفيه: (يائساً) بدل (يابساً)، و(ضيفك) بدل
(شيفك). قوله: الأزب، أي: كثير شعر الذراعين والحاجبين والعينين. اللسان (زب).

(٢) في الصحاح (قرشب) دون قوله: وأقفله الصوم أي: أيسه. وهو في تهذيب اللغة ١٦١/٩.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٥٤)، وأخرجه أحمد (٨٣٦٧)، والبخاري (٤٨٣٠).

(٤) في (م) لسفك.

(٥) المفهم ٥٢٦/٦.

الحرام ويقطعوا الأرحامَ وعصوا الرَّحْمَنَ^(١).

فالرَّحِمُ على هذا رَحِمُ دين الإسلام والإيمان، التي قد سمّاها الله أُخُوَّةً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وعلى قول الفراء: إِنَّ الآية نزلت في بني هاشم وبني أمية^(٢)، والمراد: مَنْ أضمّر منهم نفاقاً؛ فأشار بقطع الرّحِم إلى ما كان بينهم وبين النبي ﷺ من القرابة بتكذيبهم النبي ﷺ. وذلك يوجب القتال.

وبالجملة؛ فالرّحِمُ على وجهين: عامّة وخاصّة. فالعامّة رَحِمُ الدين، ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان، والمحبة لأهله ونصرتهم، والنصيحة وترك مضارّتهم، والعدل بينهم، والنّصفه في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة؛ كتبريض المرضى، وحقوق الموتى من غسلهم، والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك من [الحقوق] المترتبة لهم.

وأما الرّحِمُ الخاصّة - وهي رَحِمُ القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه - فتجب لهم الحقوق العامّة^(٣) وزيادة؛ كالنفقة، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضرورتهم؛ وتؤكد في حقّهم حقوق الرّحِم العامّة، حتى إذا تزاومت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب.

وقال بعض أهل العلم: إِنَّ الرّحِم التي تجب صلّتها هي كلُّ رَحِمٍ محرّم، وعليه فلا تجب في بني الأعمام وبني الأخوال. وقيل: بل هذا في كلِّ رَحِمٍ ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الأرحام في الموارث، محرّماً كان أو غير محرّم. فيخرج من هذا أنّ رَحِمَ الأمّ التي لا يُتوارث بها لا تجب صلّتها ولا يحرم قطعهم. وهذا ليس بصحيح، والصواب أنّ كلَّ ما يشملُه ويعمّه الرّحِم تجب صلّته على كل حال، قرينةً ودينيةً؛ على ما ذكرناه أولاً، والله أعلم^(٤).

(١) تفسير البغوي ٤/١٨٤. وفيه: الدم الحرام، وقطعوا...

(٢) المفهم ٦/٥٢٦.

(٣) في (م) و(د) و(ز) و(ق) الخاصة، والمثبت من (خ) و(ظ)، وهو الموافق لما في المفهم والكلام منه.

(٤) المفهم ٦/٥٢٤ و٥٢٧ - ٥٢٨.

وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده^(١) قال: حدثنا شعبة قال: أخبرني محمد ابن عبد الجبار، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِلرَّحْمِ لِسَاناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ، يَقُولُ: يَا رَبُّ قُطِعْتُ، يَا رَبُّ ظُلِمْتُ، يَا رَبُّ أُسِيءَ إِلَيَّ، فَيَجِيبُهَا رَبُّهَا: أَلَا تَرْضَيْنِ أَنْ أَصَلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ».

وفي صحيح مسلم عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». قَالَ ابْنُ أَبِي عَمْرٍو: قَالَ سَفِيَانٌ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٢).

الرابعة: قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ...» «خلق» بمعنى اخترع، وأصله التقدير، كما تقدم^(٣). والخلق هنا بمعنى المخلوق. ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١] أي: مخلوقه. ومعنى «فرغ منهم»: كَمَّلَ خَلْقَهُمْ. لَا أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِهِمْ ثُمَّ فَرَّغَ مِنْ شُغْلِهِ بِهِمْ؛ إِذْ لَيْسَ فَعْلُهُ بِمَبَاشَرَةٍ وَلَا مَنَاولَةٍ، وَلَا خَلْقَهُ بِآلَةٍ وَلَا مَحَاوَلَةٍ، تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ^(٤).

وقوله: «قامت الرحم فقالت» يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكونَ اللهُ تَعَالَى أَقَامَ مِنْ يَتَكَلَّمُ عَنِ الرَّحِمِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَقُولُ ذَلِكَ، وَكَأَنَّهُ وَكَلَّ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ مِنْ يَنَاضِلُ عَنْهَا وَيَكْتُبُ ثَوَابَ مَنْ وَصَلَهَا وَوَزَرَ مَنْ قَطَعَهَا؛ كَمَا وَكَلَّ اللَّهُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ كِرَاماً كَاتِبِينَ، وَبِمَشَاهِدَةِ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ مَلَائِكَةً مُتَعَاقِبِينَ.

وثانيهما: أن ذلك على جهة التقدير والتمثيل المُفْهِمِ لِلْإِغْيَاءِ^(٥) وَشِدَّةِ الْإِعْتِنَاءِ.

(١) برقم (٢٥٤٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٥٦) (١٨)، وصحيح البخاري (٥٩٨٤)، وهو في مسند أحمد (١٦٧٦٣).

(٣) ٣٤١/١، وسلف الحديث في المسألة قبلها.

(٤) المفهم ٥٢٤/٦.

(٥) في النسخ عدا (خ) للإغْيَاءِ، والمثبت من (خ) وهو الموافق لما في المفهم ٥٢٥/٦ والكلام منه.

فكانه قال: لو كانت الرَّحْم ممن يعقل ويتكلم لقاتل هذا الكلام، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَرْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) [الحشر: ٢١].

وقوله: «فقاتل: هذا مقام العائذ بك من القطيعة» مقصود هذا الكلام: الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأن الله سبحانه قد نزلها بمنزلة من استجار به فأجاره، وأدخله في ذمته وخفارته^(٢). وإذا كان كذلك فجارُ الله غيرُ مخذول، وعهده غيرُ منقوض. ولذلك قال مخاطباً للرَّحِم: «أما تَرْضَيْنَ أَنْ أَصَلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ». وهذا كما قال عليه الصلاة والسلام: «من صَلَّى الصَّبْحَ فهو في ذمة الله تعالى، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه بدمته بشيء يدركه، ثم يَكْبَهُ في النار على وجهه»^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ آذُنَيْهِ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ وَالشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾^(٤)

قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبِيِّ ﷺ بعد ما عرفوا نعتَه عندهم. وقاله ابن جريج^(٤). وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون^(٥)، قعدوا عن القتال بعد ما علموه في القرآن.

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زَيَّنَ لَهُمْ خطاياهم. قاله الحسن. ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: مدَّ لَهُم الشَّيْطَانُ في الأمل، ووعدهم طولَ العمر؛ عن الحسن أيضاً. وقال: إنَّ الذي

(١) المفهم ٥٢٤/٦ - ٥٢٥ .

(٢) الخفارة: الأمان. اللسان (خفر).

(٣) أخرجه مسلم (٦٥٧): (٢٦٢)، وأخرجه أحمد (١٨٨١٤) مختصراً، من حديث جندب الجلي،

وأخرجه أحمد (٥٨٩٨) - مختصراً أيضاً - من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) النكت والعيون ٣٠٢/٥ .

(٥) تفسير البغوي ١٨٤/٤ .

أملئ لهم في الأمل ومدّ في آجالهم هو الله عزّ وجلّ. قاله الفرّاء والمفضل. وقال الكلبيّ ومقاتل: إنّ معنى «أملئ لهم»: أمهلهم؛ فعلى هذا يكون الله تعالى أملئ لهم بالإمهال في عذابهم^(١).

وقرأ أبو عمرو وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو جعفر وشيبة: «وأملئ لهم»^(٢) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء؛ على ما لم يسمّ فاعله^(٣). وكذلك قرأ ابن هرّمز ومجاهد والجحدريّ ويعقوب، إلا أنّهم سكّنوا الياء؛ على وجه الخبر من الله تعالى عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم؛ كأنه قال: وأنا أملئ لهم^(٤). واختاره أبو حاتم، قال: لأنّ فتح الهمزة يؤهم أنّ الشيطان يملئ لهم، وليس كذلك؛ فلهذا عدل إلى الضم. قال المهدوي: ومن قرأ: «وأملئ لهم» فالفاعل اسم الله تعالى. وقيل: الشيطان. واختار أبو عبيد قراءة العامة، قال: لأنّ المعنى معلوم؛ لقوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] ردّ التسيب على اسم الله، والتعزير على اسم الرسول.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: ذلك الإملاء لهم حتى يتمادوا في الكفر بأنهم قالوا؛ يعني المنافقين واليهود ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وهم المشركون: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته، والقعود عن الجهاد معه وتوهين أمره في السرّ. وهم إنّما قالوا ذلك سرّاً، فأخبر الله نبيّه^(٥).

(١) النكت والعيون ٣٠٣/٥.

(٢) قراءة أبي عمرو في السبعة ص ٦٠٠، والتيسير ص ٢٠١، وقراءة عيسى وشيبة في المحرر الوجيز ١١٩/٥. وقراءة أبي جعفر المشهورة عنه: «وأملئ» كقراءة العامة. النشر ٢/٣٧٤.

(٣) تفسير البغوي ١٨٤/٤.

(٤) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٧٢، وقراءة يعقوب في النشر ٢/٣٧٤، وهي من العشرة، وينظر معاني القرآن للزجاج ١٤/٥.

(٥) تفسير البغوي ١٨٤/٤ نحوه.

وقراءة العامة: «أَسْرَارَهُمْ» بفتح الهمزة جمع سِرّ، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. وقرأ الكوفيون وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «إِسْرَارَهُمْ» بكسر الهمزة على المصدر^(١)، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩] جُمع لاختلاف ضروب السر^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِيُوتَ وُجُوهِتِهِمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ ﴿٧٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ﴾ أي: فكيف تكون حالهم^(٣). ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِيُوتَ﴾ أي: ضاربين؛ فهو في موضع الحال^(٤). ومعنى الكلام التخويف والتهديد، أي: إن تأخر عنهم العذاب فإلى انقضاء العمر. وقد مضى في «الأنفال» و«النحل»^(٥).

وقال ابن عباس: لا يتوفى أحد على معصية إلا بضرب شديد لوجهه وبقناه^(٦). وقيل: ذلك عند القتال نُصْرَةً لرسول الله ﷺ، بضرب الملائكة وجوههم عند الطلب، وأدبارهم عند الهرب. وقيل: ذلك في القيامة عند سَوْقِهِمْ إِلَى النَّارِ^(٧).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك جزاؤهم^(٨). ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾

(١) المحرر الوجيز ١١٩/٥، والسبعة ص ٦٠١، والتيسير ص ٢٠١، وإعراب القرآن للنحاس ١٩٠/٤.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢٧٨/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٩٠/٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٦٧٤/٢.

(٥) ٤٤/١٠ - ٤٥ - ٣١٥/١٢.

(٦) الكشف ٥٣٧/٣ بنحوه، ووقع في (ظ): يضرب ضرباً شديداً.

(٧) النكت والعيون ٣٠٣/٥ - ٣٠٤.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ١٩٠/٤.

قال ابن عباس: هو كتمانهم ما في التوراة من نعت محمد ﷺ^(١). وإن حُمِلت على المنافقين فهو إشارة إلى ما أضمروا عليه من الكفر. ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ يعني: الإيمان. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: ما عملوه من صدقة وصلة رحم وغير ذلك؛ على ما تقدم^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾^(٣) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: نفاق وشك^(٣)، يعني المنافقين. ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ الأضغان ما يُضمر من المكروه.

واختلف في معناه؛ فقال السُّدِّيُّ: غَشَمَهُمْ. وقال ابن عباس: حسدهم. وقال قُطْرُبٌ: عداوتهم، وأنشد قول الشاعر:
قل لابن هندٍ ما أردتَ بمَنطِقِي ساء الصديقَ وشيّد الأضغانا
وقيل: أحقادهم^(٤). واحداها ضِغْنٌ^(٥). قال:

وذي ضغنٍ كفتُ النفسَ عنه

وقد تقدم^(٦).

وقال عمرو بن كلثوم:

وإنَّ الضُّغْنَ بعد الضُّغْنِ يَفْشُو عليك ويُخْرِجُ الداءَ الدفيناً^(٧)

(١) الوسيط ١٢٨/٤، وتفسير البغوي ١٨٥/٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٥/٥، وسلف ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٣) النكت والعيون ٣٠٤/٥.

(٤) المصدر السابق، وفيه: (وسرّ إذا الأضغان) بدل (وشيّد الأضغانا).

(٥) تفسير البغوي ١٨٥/٤.

(٦) صدر بيت للزبير بن عبد المطلب وعجزه: وكنت على مساءته مقيتا، وسلف ٤٨٦/٦.

(٧) شرح المعلقات للنحاس ١٠١/٢ - معلقة عمرو بن كلثوم - قال النحاس: الداء: يعني الحقد.

قال الجوهري: الضغن والضغينة: الحقد. وقد ضغن عليه - بالكسر - ضغناً. وتضاغن القوم واضطعنوا: انطووا^(١) على الأحقاد. واضطعنت الصبي: إذا أخذته تحت حضنك. وأنشد الأحمر:

كَأَنَّهُ مُضْطَغِنٌ صَبِيًّا^(٢)

أي: حامله في حجره. وقال ابن مقبل:

إذا اضطعنت سلاحي عند مَعْرِضِهَا ومِرْفَقِ كِرْيَاسِ السَّيْفِ إِذْ شَسَفًا^(٣)
وفرس ضاغن: لا يعطي ما عنده من الجري إلا بالضرب.

والمعنى: أم حسبوا أن لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لأهل الإسلام. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾ أي: لعرفناكم^(٤).

قال ابن عباس: وقد عرفه إياهم في سورة براءة^(٥).

تقول العرب: سأريك ما أصنع، أي: سأعلمك^(٦)، ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَا أَرَاكَ

اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] أي: بما أعلمك.

﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بعلاماتهم. قال أنس: ما خفي على النبي ﷺ بعد هذه

الآية أحد من المنافقين؛ كان يعرفهم بسيماهم^(٧). وقد كنا في غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكونهم الناس^(٨)، فأصبحوا ذات ليلة وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب

(١) في النسخ: أبطنوا، والمثبت من الصحاح، والكلام منه.

(٢) الصحاح (ضغن)، والرجز أيضاً في غريب الحديث لأبي عبيد ١٩٣/٤.

(٣) هذه رواية الصحاح، وفي ديوان ابن مقبل ص ١٨٦: (ثم اضطبنت) بدل (إذا اضطعنت). اضطبنت: أي: احتضنت، والمغرض: جانب البطن أسفل الأضلاع، ورتاس السيف: مقبضه، وشسّف، أي: يس من الضمر والهزال. اللسان (ضبن) (غرض) (رأس) (شسّف).

(٤) تفسير البغوي ١٨٥/٤ بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢٢/٢١.

(٦) تفسير الطبري ٢٢٢/٢١.

(٧) تفسير البغوي ١٨٥/٤، والكشاف ٥٣٧/٣.

(٨) في (ف): يشكوا الناس، وفي الكشاف ٥٣٧/٣ والكلام منه: يشكوهم الناس.

«هذا منافق» فذلك سيماهم^(١).

وقال ابن زيد: قَدَّرَ اللهُ إِظْهَارَهُمْ، وَأَمَرَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَتَمَسَّكَوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَحَقَنْتَ دِمَائِهِمْ وَنَكَحُوا وَأَنْكَحُوا بِهَا^(٢).

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: في فحواه ومعناه. ومنه قول الشاعر:

وخيْرُ الكلام ما كان لَحْنًا

أي: ما عُرف بالمعنى ولم يُصْرَحْ به^(٣).

مأخوذ من اللَّحْنِ فِي الْإِعْرَابِ، وَهُوَ الذَّهَابُ عَنِ الصَّوَابِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ» أَي: أَذْهَبَ بِهَا فِي الْجَوَابِ لِقَوْتِهِ عَلَى تَصْرِيفِ الْكَلَامِ^(٤).

أبو زيد: لَحَنْتُ لَهُ - بِالْفَتْحِ - أَلْحَنُ لَحْنًا: إِذَا قُلْتَ لَهُ قَوْلًا يَفْهَمُهُ عَنْكَ، وَيُخْفَى عَلَى غَيْرِهِ. وَلِحْنُهُ هُوَ عَنِّي - بِالْكَسْرِ - يَلْحَنُهُ لَحْنًا، أَي: فَهَمَهُ. وَأَلْحَنْتُهُ أَنَا إِيَّاهُ. وَلَا حَنْتُ النَّاسَ: فَاطْتَهُمْ، قَالَ الْفَزَارِيُّ:

وَحَدِيثُ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِثُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقُ رَائِعٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَأْ وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(٥)

يريد أنها تتكلم وهي تريد غيره، وتُعْرَضُ فِي حَدِيثِهَا فَتَزِيلُهُ عَنْ جِهَتِهِ مِنْ فَطْنَتِهَا وَذَكَائِهَا. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾. وَقَالَ الْقَتَّالُ الْكِلَابِيُّ:

(١) الكشاف ٥٣٧/٣، وفيه (تسعة) بدل (سبعة).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢٣/٢١.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٨٥-٤٨٦، وفيه: (وخير الحديث) بدل (وخير الكلام)، والشعر لمالك بن أسماء الفزاري وسيأتي قريباً.

(٤) النكت والعيون ٣٠٤-٣٠٥، والحديث سلف ٢٧٤/٢.

(٥) الصحاح (لحن) وهذه روايته، والبيت أيضاً في الشعر والشعراء ٧٨٢/٢، والأغاني ٢٣٦/١٧ وروايتها فيه: (صائب) بدل (رائع)، و(أحلى) بدل (خير)، ووقع في الشعر والشعراء أيضاً (يشتهي) بدل (ينعت)، والفزاري قال ابن قتيبة: هو مالك بن أسماء بن خارجة، وأباؤه سادة غطفان.

ولقد وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا وَلَحَنْتُ لِحَنَا لَيْسَ بِالْمَرْتَابِ^(١)
وقال مرار الأسدي :

ولحنتِ لِحَنَا فِيهِ غَشٌّ وَرَابِنِي صَدُوذُكَ تُرْضِيَنِ الْوُشَاةَ الْأَعَادِيَا
قال الكلبي : فلم يتكلم بعد نزولها عند النبي ﷺ منافق إلا عرفه^(٢).

وقيل : كان المنافقون يخاطبون النبي ﷺ بكلام تواضعوه فيما بينهم ، والنبي ﷺ
يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد ، فببها الله تعالى عليه ، فكان بعد هذا يعرف
المنافقين إذا سمع كلامهم .

قال أنس : فلم يَخْفَ منافقٌ بعد هذه الآية على رسول الله ﷺ ؛ عَرَفَهُ اللهُ ذَلِكَ
بِوَحْيٍ أَوْ عَلَامَةٍ عَرَفَهَا بِتَعْرِيفِ اللهِ إِيَّاهُ^(٣) .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي : لا يخفى عليه شيء منها .

قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي : نتعبدكم بالشرائع وإن علمنا عواقب الأمور ،
وقيل : لنعاملتكم معاملة المختبرين^(٤) .

﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ عليه . قال ابن عباس : «حَتَّى نَعْلَمَ» : حتى
نميز . وقال عليّ ؑ : «حَتَّى نَعْلَمَ» : حتى نرى . وقد مضى في «البقرة»^(٥) .

(١) الصحاح (لحن) وهذه روايته ، وهو في ديوان القتال الكلابي ص ٣٦ برواية :

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ووحيت وحيأ ليس بالمرتاب
والقتال الكلابي : هو عبد الله بن مُحجَّب بن المضرحي ، شاعر فارس . المؤلف والمختلف للأمدي
ص ٢٥٢ .

(٢) النكت والعيون ٣٠٥/٥ ، والبيت السالف فيه .

(٣) تفسير البغوي ١٨٥/٤ ، والكشاف ٥٣٧/٣ .

(٤) تفسير البغوي ١٨٥/٤ .

(٥) ٤٣٧/٢ - ٤٣٨ .

وقراءة العامة بالنون في «تَبْلُونَكُمْ» و«نَعْلَم» و«تَبْلُوا». وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء فيهنّ. وروى رُوَيْس عن يعقوب إسكان الواو من «تبلوا» على القطع مما قبل. ونصب الباقون ردًا على قوله: «حَتَّى نَعْلَمَ»^(١).

وهذا العِلْمُ هو العِلْمُ الذي يقع به الجزاء؛ لأنه إنّما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم. فتأويله: حتى نعلم المجاهدين علمَ شهادة؛ لأنّهم إذا أمروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا، فالجزاء بالشواب والعقاب يقع على علم الشهادة^(٢). ﴿وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾: نختبرها ونظهرها.

قال إبراهيم بن الأشعث: كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللهم لا تبتلنا^(٣)؛ فإنّك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستاذنا^(٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُرُوا اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾

يرجع إلى المنافقين أو إلى اليهود^(٥).

وقال ابن عباس: هم المطعمون يوم بدر. نظيرها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦] الآية^(٦).

﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ أي: عادوه وخالفوه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي: علموا أنه نبيّ بالحُجج والآيات. ﴿لَنْ يَصُرُوا اللَّهُ شَيْئًا﴾ بكفرهم. ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: ثواب ما عملوه^(٧).

(١) السبعة ص ٦٠١، والتيسير ص ٢٠١، والنشر ٢/٣٧٥. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/١٢١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/١٦ بنحوه.

(٣) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: لا تبتلنا.

(٤) الكشاف ٣/٥٣٨، والمحرر الوجيز ٥/١٢١ دون ذكر إبراهيم بن الأشعث.

(٥) المحرر الوجيز ٥/١٢١.

(٦) تفسير البغوي ٤/١٨٦.

(٧) تفسير أبي الليث ٣/٢٤٧.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٣﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لَمَّا بَيَّنَّ حَال

الكفار، أمر المؤمنين بلزوم الطاعة في أوامره، والرسول في سننه.

﴿وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَالَكُمْ﴾ أي: حسناتكم بالمعاصي. قاله الحسن. وقال الزُّهري:

بالكِبائر. ابن جريج: بالرِّياء والسُّمعة^(١). وقال مقاتل والثُّمالي: بِالْمَنْ^(٢)؛ وهو خطاب لمن كان يَمَنُّ على النبي ﷺ بإسلامه. وكلُّه متقارب، وقول الحسن يجمعه.

وفيه إشارة إلى أن الكِبائر تحبط الطاعات، والمعاصي تُخْرِج عن الإيمان^(٣).

الثانية: احتج علماءنا وغيرهم بهذه الآية على أن التحلل من التطوع - صلاةً كان

أو صوماً - بعد التلبس به لا يجوز؛ لأنَّ فيه إبطالَ العمل، وقد نهى الله عنه. وقال من

أجاز ذلك - وهو الإمام الشافعي وغيره -: المراد بذلك إبطالُ ثواب العمل

المفروض، فنهى الرجل عن إحباط ثوابه. فأما ما كان نفلاً فلا؛ لأنَّه ليس واجباً عليه.

فإن زعموا أن اللفظ عام، فالعام يجوز تخصيصه. ووجه تخصيصه أن النَّفْل تطوُّع،

والتطوُّع يقتضي تخييراً^(٤).

وعن أبي العالية: كانوا يرون أنه لا يضر مع الإسلام ذنب، حتى نزلت هذه الآية

فخافوا الكِبائر أن تُحبط الأعمال. وقال مقاتل: يقول الله تعالى إذا عصيتم الرسول

فقد أبطلتكم أعمالكم^(٥).

(١) النكت والعيون ٣٠٦/٥.

(٢) زاد المسير ٤١٢/٧ دون نسبة.

(٣) الكشاف ٥٣٨/٣ - ٥٣٩ بنحوه، وهذا كلام المعتزلة، ومذهب أهل السنة أن المعاصي لا تبطل الحسنات، ولا تُخْرِج صاحبها عن الإيمان، غير أن من أصرَّ عليها خيف عليه أن يرين على قلبه، فيخرجه من الإيمان. وينظر روح المعاني ٧٩/٢٦ - ٨٠، والداء والدواء ص ١٠٣-١٠٥.

(٤) أحكام القرآن للكلبي الطبري ٣٧٥/٤.

(٥) لفظ قول مقاتل في تفسير البغوي ١٨٦/٤: «لَا تَمُتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَتَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ». وذكر قول أبي العالية بنحوه أيضاً الواحدي في الوسيط ١٢٩/٤، وأبو الليث في تفسيره ٢٤٧/٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ﴿٣٤﴾

بين أن الاعتبار بالوفاة على الكفر يوجب الخلود في النار. وقد مضى في «البقرة» الكلام فيه^(١). وقيل: إن المراد بالآية أصحاب القلب. وحكمها عام^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ أي: تضعفوا عن القتال^(٣).

والوهن: الضعف. وقد وهن الإنسان ووهنه غيره، يتعدى ولا يتعدى. قال:

إنني لستُ بموهونٍ فقير^(٤)

ووهن أيضاً - بالكسر - وهناً، أي: ضعف^(٥).

وقرىء: «فما وهنوا» بضم الهاء وكسرهما. وقد مضى في «آل عمران»^(٦).

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ أي: الصلح. ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي:

وأنتم أعلم بالله منهم. وقيل: وأنتم الأعلىون في الحجة^(٧). وقيل: المعنى: وأنتم

الغالبون لأنكم مؤمنون وإن غلبوكم في الظاهر في بعض الأحوال^(٨).

(١) ٤٣٠/٣.

(٢) الكشاف ٥٣٩/٣، والقلب: البئر، والمراد: قلب بدر. النهاية (قلب).

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣٩٣/٣.

(٤) عجز بيت لطفة وصدرة: وإذا تلسنتي السنها، وهو في ديوانه ص ٥٣، والكلام في الصحاح (وهن).

(٥) الصحاح (وهن).

(٦) ٣٥٣/٥، ولم تقف على من قرأ «وهنوا» بضم الهاء.

(٧) تفسير أبي الليث ٣٠١/١.

(٨) تفسير البغوي ١٨٦/٤.

وقال قتادة: لا تكونوا أوّل الطائفتين ضرعت إلى صاحبتهما^(١).

الثالثة: واختلف العلماء في حكمها؛ فقيل: إنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] لأنّ الله تعالى منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إلى الصلح. وقيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]. وقيل: هي محكمة. والآيتان نزلتا في وقتين مختلفي الحال. وقيل: إنّ قوله: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا» مخصوص في قوم بأعيانهم، والأخرى عامة^(٢).

فلا يجوز مهادة الكفار إلا عند الضرورة؛ وذلك إذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين^(٣). وقد مضى هذا المعنى مستوفى^(٤).

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي: بالنصر والمعونة^(٥)؛ مثل: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿وَلَنْ يَتَزَكَّى أَعْمَلِكُمْ﴾ أي: لن ينقّصكم؛ عن ابن عباس وغيره^(٦).

ومنه الموتور الذي قُتل له قاتل فلم يدرك بدمه، تقول منه: وَتَرَهُ يَتَرَهُ وَتَرًا وَتَرَةً^(٧).
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي: ذهب بهما^(٨).

(١) الكشاف ٥٣٩/٣، وفيه: ضرعت إلى صاحبتهما بالموادعة. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٢٤/٢.

(٢) النسخ والمنسوخ للنحاس ١٣/٣، وينظر ٣٨٥/٢ منه.

(٣) أحكام القرآن للكميا الطبري ٣٧٥/٤.

(٤) ٦٢/١٠ فما بعدها.

(٥) تفسير البغوي ١٨٦/٤.

(٦) النكت والعيون ٣٠٦/٥ عن مجاهد وقطرب، وقول مجاهد في تفسيره ٥٩٩/٢.

(٧) الصحاح (وتر).

(٨) أخرجه أحمد (٦٣٢٤)، والبخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦): (٢٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وكذلك وَتَرَهُ حَقَّهُ أَي: نقصه. وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَرِيكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ أَي: لن ينتقصكم في أعمالكم، كما تقول: دخلت البيت؛ وأنت تريد في البيت. قاله الجوهري^(١).

الفرء: «وَلَنْ يَرِيكُمُ» هو مشتق من الوتر، وهو الفرد؛ فكان المعنى: ولن يفردكم بغير ثواب^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَفَّوْا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلُكُمْ فِيهَا فَيُخَفِّصْكُمْ تَبَخَّلُوا وَنُحْرِجْ أَصْفَانَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾
قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ﴾ تقدم في «الأنعام»^(٣). ﴿وَلَنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَفَّوْا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ شرط، وجوابه. ﴿وَلَا يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أَي: لا يأمركم بإخراج جميعها في الزكاة؛ بل أمر بإخراج البعض. قاله ابن عيينة وغيره^(٤).

وقيل: «لَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ» لنفسه^(٥) أو لحاجة منه إليها، إنما يأمركم بالإنفاق في سبيله؛ ليرجع ثوابه إليكم.
وقيل: «لَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ» إنما يسألكم أمواله؛ لأنه أملك^(٦) لها، وهو المنعم بإعطائها^(٧).

وقيل: ولا يسألكم محمدٌ أموالكم أجراً على تبليغ الرسالة. نظيره: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] الآية. ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْ فِيهَا فَيُخَفِّصْكُمْ﴾: يلح عليكم.

(١) في الصحاح (وتر).

(٢) المحرر الوجيز ١٢٢/٥ دون نسبة. وقال: والأول أصح.

(٣) ٣٦٠/٨ - ٣٦١.

(٤) تفسير البغوي ١٨٦/٤، والمحرر الوجيز ١٢٣/٥ بنحوه عن ابن عيينة.

(٥) النكت والعيون ٣٠٦/٥.

(٦) في (م): المالك.

(٧) النكت والعيون ٣٠٧/٥.

يقال: أحفى بالمسألة وألحف وألحّ بمعنّى واحد. والحفّي المستقصي في السؤال، وكذلك الإحفاء الاستقصاء في الكلام والمنازعة. ومنه أحفى شاربه؛ أي: استقصى في أخذه^(١).

﴿بَخَلُوا وَيُخْرِجَ أَضْعَانَكُمْ﴾ أي: يخرج البخل أضغانكم.

قال قتادة: قد علم الله أنّ في سؤال المال خروج الأضغان^(٢).

وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن مُحَيِّصِن وحميد: «وَتَخْرُجُ» بناء مفتوحة وراء مضمومة. «أضغانكم» بالرفع لكونه الفاعل^(٣). وروى الوليد عن يعقوب الحضرمي «ونخرج» بالنون^(٤). وأبو معمر عن عبد الوارث عن أبي عمرو: «ويخرج» بالرفع في الجيم على القطع والاستئناف^(٥)، والمشهور عنه: «ويُخْرِجُ» كسائر القراء، عطف على ما تقدّم.

قوله تعالى: ﴿هَآئِنْتُمْ هَآؤِلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿هَآئِنْتُمْ هَآؤِلَآءِ تُدْعَوْنَ﴾ أي: هأنتم هؤلاء أيها المؤمنون تدعون ﴿لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في الجهاد وطريق الخير. ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: على نفسه؛ أي: يمنعها الأجر والثواب. ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ أي: إنه ليس بمحتاج إلى أموالكم. ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إليها.

(١) الصحاح (حفا).

(٢) تفسير أبي الليث ٢٤٨/٣، والوسيط ١٣٠/٤، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٢٤/٢.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٤١، والبحر المحيط ٨/٨٦.

(٤) البحر المحيط ٨/٨٦، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٤١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) المحتسب ٢/٢٧٣، والقراءات الشاذة ص ١٤١.

﴿وَأَنْتَ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: أطوعَ لله منكم^(١).

روى الترمذي^(٢) عن أبي هريرة قال: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَأَنْتَ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ قالوا: ومن يُستبدل بنا؟ قال: فضرب رسولُ الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: «هذا وقومُه. هذا وقومُه» قال: حديث غريب في إسناده مقال.

وقد روى عبد الله بن جعفر بن نجيع والد علي بن المديني أيضاً هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء الذين ذكر اللهُ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبَدَّلُوا، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَنَا؟ قال: وكان سلمانُ جنبَ رسول الله ﷺ قال: فضرب رسولُ الله ﷺ فخذَ سلمان، قال: «هذا وأصحابُه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمانُ مَنْوِطًا بِالثَّرِيَّا لَتَنَاولَهُ رَجَالٌ مِنْ فَارِسٍ»^(٣).

وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: هم فارس والروم^(٤). قال المحاسبي: فلا أحد بعد العرب من جميع أجناس الأعاجم أحسنُ ديناً، ولا كانت العلماء منهم إلا الفرس.

وقيل: إنهم اليمن، وهم الأنصار. قاله شريح بن عبيد^(٥). وكذا قال ابن عباس:

(١) تفسير أبي الليث ٢٤٨/٣.

(٢) في سننه (٣٢٦٠).

(٣) سنن الترمذي (٣٢٦١)، وهو في صحيح ابن حبان (٧١٢٣) من طريق مسلم بن خالد عن العلاء...

وأخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) (٢٣١) بلفظ: «... فوضع يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا، لَتَأَلَّهُ رَجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ».

وأخرجه أحمد (٨٠٨١)، ومسلم (٢٥٤٦) (٢٣٠) بلفظ: «لو كان الدين عند الثريا، لذهب به رجل من فارس - أو قال - من أبناء فارس».

(٤) تفسير البغوي ١٨٧/٤، والكشاف ٥٤٠/٣.

(٥) النكت والعيون ٣٠٧/٥.

هم الأنصار^(١). وعنه: أنهم الملائكة^(٢). وعنه: هم التابعون. وقال مجاهد: إنهم من شاء من سائر الناس^(٣).

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ قال الطبري: أي: في البخل بالإنفاق في سبيل الله. وحكي عن أبي موسى الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية، فرح بها رسول الله ﷺ وقال: «هي أحب إلي من الدنيا»^(٤). والله أعلم.

ختمت السورة بحمد الله وعونه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الأطهار.

(١) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٤١٦/٧ لمقاتل.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٧/٥ دون نسبة.

(٣) زاد المسير ٤١٦/٧ .

(٤) النكت والعيون ٣٠٨/٥ .